رسائل الإمام

جابر بن زيد الأزدي رضي

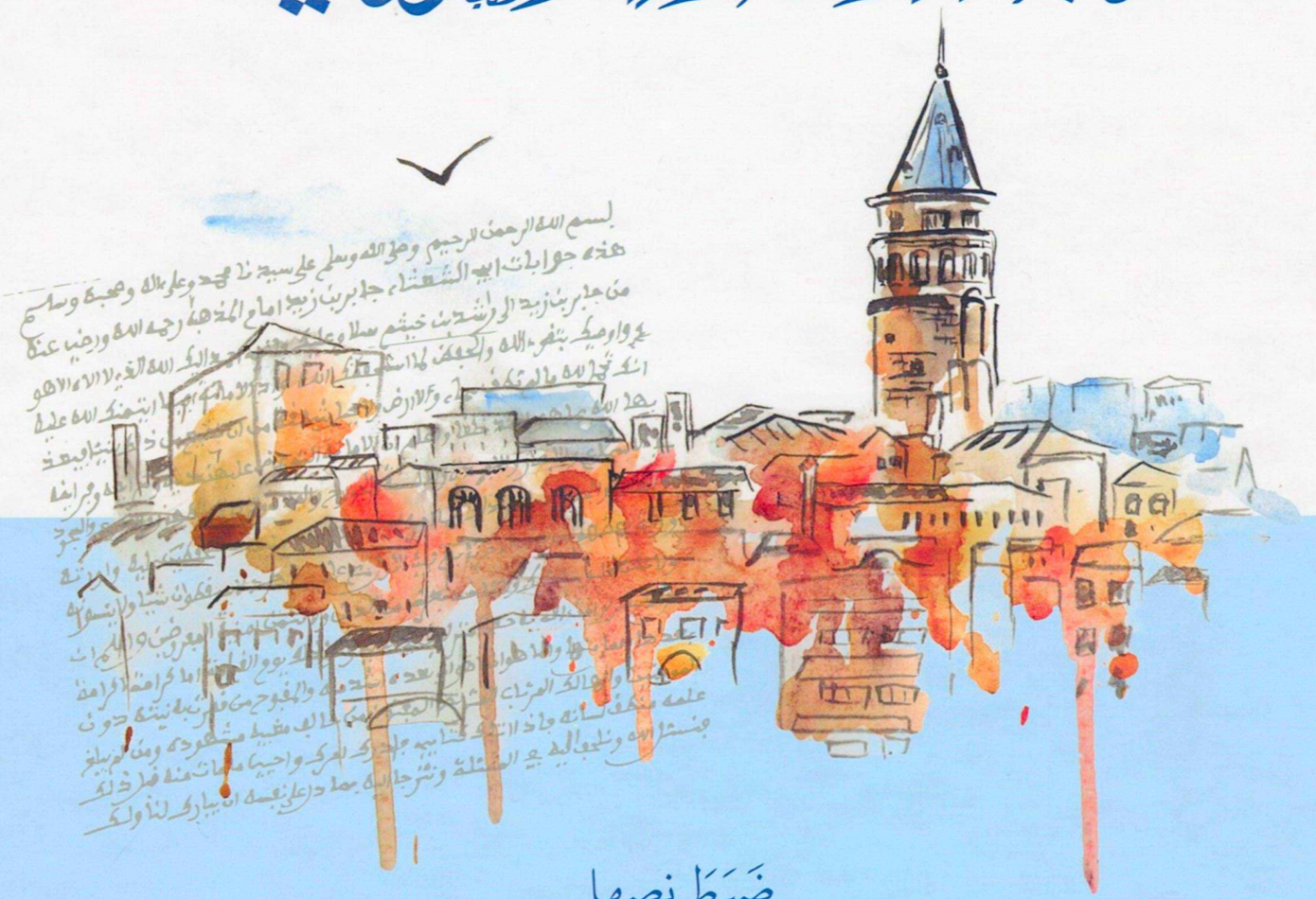

ضبط نصها

عمرو خليفة النامي

دار الدعوة
تالوت - لبنيا

رسائل الإمام

جابر بن زيد الأزدي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

طُبع هذا الكتاب صدقة جارية للوالدة:
سالمة بنت عبد الله بن محمد بن راشد الكندية النزوانية
رحمها الله تعالى

الناشر:
دار الدعوة
نالوت/ ليبيا

توزيع:
مكتبة خزائن الآثار
سلطنة عمان ـ بركاء
نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ - ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥

الراعي الإعلامي:
موقع بصيرة الإلكتروني
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية
لسماحة الشيخ العلّامة أحمد بن حمد الخليلي
المفتي العام لسلطنة عُمان
للتواصل: info@baseera.net - www.baseera.net

رسائل الإمام

جابر بن زيد الأزدي

ضبط نصها

عمرو خليفة النامي

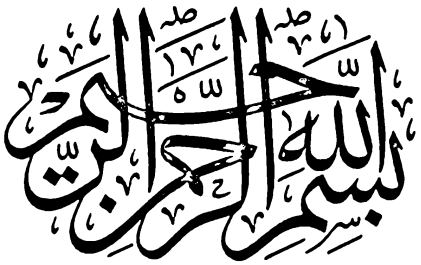
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بقلم المراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد؛ فقد كانت بدايةُ العلاقة بين النامي وهذه الرسائل سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م عندما اكتَشَفَ نُسْخةً منها في مكتبة الشيخ يوسف بن مُحَمَّد البارُونِيّ (ت: ٦ رمضان ١٤١٧هـ/ ١٥ يناير ١٩٩٧م) بالحَشَّان في جزيرة جربة بتونس، كما ذكر ذلك في مقاله الذي وَصَفَ فيه مخطوطاتٍ إباضيةً نادرة.

وجاء اكتشافُه لَهَا أثناء زيارته الأولى للمكتبة البارونية ـ وقَيَّمِهَا الشيخ يوسف بن محمد ـ في شهر جمادى الأولى ١٣٨٨هـ/ أغسطس ١٩٦٨م، ضِمْنَ رحلته العلمية التي دامت أربعة أشهر في ديار الإباضية بالشمال الإفريقي. يقولُ النامي في فاتِحَة مقاله (وصف مَخْطُوطات إباضية مكتشفة حديثًا في شَمال إفريقية) الذي نَشَرَهُ بالإنجليزية ما تَرْجَمَتُه: «أمّا في جَزِيرَةِ جِرْبَة؛ فقُمنا بزيارة المكتبات الثلاث الرئيسة:

ـ المكتبة الأولَى: هي مكتبة الشيخ سالِم بن يعقوب؛ الذي يعيش في غِيزِن، وقد دَرَسَ في القاهرة أكثر من خَمْسِ سنوات على يد العالِمِ الإباضي الراحل الشيخ أبِي إسحاق إبراهيم اطفيّش، وهو مُهْتَمٌّ بتاريخ جربة، ومُعْتَنٍ بِجَمْعِ تراثها. والمخطوطاتُ التالية حصلتُ عليها من عنده: شرح النونيّة: لإسْمَاعيل بن موسى الجيطالي، وهو يَمْلِكُ جُزأين منه من أصلٍ ثلاثة أجزاء. وتَبْيِينُ أفعالِ العِبَاد: لأبي العبّاس أحمد بن محمد بن بكر. وكتابُ سِيَرِ نَفُوسَةَ القديم: لِمُحَمَّد بن مُقَرِّن البَغْطُوري.

ـ المكتبة الثانية التي زُرناها تعودُ لأسرة الباروني في الحَشَّان، وتَحْوِي ما لا يقلُّ عن ٥٠٠ مخطوطة، أكثرُ من ١٢٠ منها لمؤلِّفين إباضيين، وهذه هي أكبر مجموعةٍ مُفْرَدَةٍ لكتب الإباضية، وهي مفتوحة أمام الباحثين للاطلاع عليها ودراسة مُحتوياتِهَا.

ـ أمّا المكتبة الأخيرة فتَخُصُّ أُسْرَةَ البَعْطُور في وَالَغ، وللأسف فإنَّ هذه المجموعة في حالةٍ مضطربة، وأوراقُها ووثائقُها مَخلوطةٌ ومُبَعْثَرَة، مِمَّا يستلزم عملاً شاقا لتصنيفها وإعادة ترتيبها»[1].

والحق يقال؛ إن المكتبة البارونية ـ ذات النفائس والنوادر ـ كان لها النصيب الأوفر من مكتشفات النامي، كما يتضح ذلك من مقاله، ومِن أعماله التي تَيَسَّرَ له الاشتغال على ضبطها وتحقيقها، فلا يكاد يخلو كتابٌ مِنْ كُتُبه مِن اعتمادٍ على بعض مخطوطات البارونية. والعكسُ صحيحٌ أيضًا، فإن جهود النامي في الكشف عن ذخائر هذه المكتبة كان لها كبيرُ الأثر في توجيه الأنظار إليها، وفي إحياء بعض المجهولات من خباياها، وبَعْثِ كثيرٍ مما كان يُظَنُّ مفقودا من كتب التراث الإباضي.

---

(١) سيأتي توثيق المقال لاحقا بإذن الله.

وتتصدر مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد مقالَ الدكتور النامي الآنف الذكر، فيقولُ في وصفها: «رسائل الإمام جابر بن زيد. عدد صفحاتها ٣٢ صفحة (مقاس ١٥× ٢١سم)؛ بمعدل ١٤ سطرًا في الصفحة، كُتبت بخط مغربي قديم، وهي غير مؤرَّخة للأسف، لكن نمط كتابتها ونوع ورقها يُظهر أنَّها قديمة، رُبَّما تعود إلى القرن السادس الهجري[1]. والرسائل تشغل الصفحات الـ ٣٢ الأولى من هذه المخطوطة ذات المحتويات المتعددة. وقد استعرتُها من الشيخ يوسف بن مُحمّد الباروني في الحَشَّان (جربة). وثَمَّةَ نسخةٌ أخرى قيل لي إنَّها موجودةٌ في حيازة الشيخ الراحل صالح بن عُمَر في بني يزجن (ميزاب).

نصُّ المخطوطة يَحْوي ثَمَانِي عَشْرَةَ رسالة من جابر بن زيد إلى أصحابه وأتباعه، والورقةُ الأولى منها مفقودة. ومحتواها جواباتٌ للإمام جابر على أسئلةٍ وُجّهتْ إليه من قِبَل أتباعه، وكلُّ رسالة تبدأ على هذا النحو: من جابر بن زيد إلى..... سلامٌ عليك، فإنّي أحْمَد إليك الله... إلخ. ثُمَّ بعد التحية والخطبة يبدأ الإمام جابر بالإجابة على الأسئلة الواحد تِلْوَ الآخر. وتَكْمُنُ أهَمِيّةُ هذه الرسائل في أنَّها تُمِدُّنَا بِمَعلوماتٍ عن نشاطات الإمام جابر بن زيد، والظروفِ والأوضاع المعاصرة له. وقد وُجِّهَتْ الرسائلُ إِلَى:

١ ـ ناشد (؟ راشد) بن خيثم.

٢ ـ عثمان بن يسار.

٣ ـ طَرِيف بن خُلَيْد.

٤ ـ غِطريف بن عبد السلام.

٥ ـ الحارث بن عَمرو.

---

(١) هذا الاحتمال يَرقى بهـا إلى زمنٍ قديم جدًّا. ولعل الفحص المخبـري لأوراقها يقودنا إلى نتيجةٍ نطمئن إليها.

٦ ـ عنيفة.

٧ ـ نافع بن عبد الله.

٨ ـ يزيد بن يَسَار.

٩ ـ عبد الله بن سَعْد.

١٠ ـ مالك بن أُسَيْد.

١١ ـ سالم بن ذَكوان

١٢ ـ نُعمان بن سلمة.

١٣ ـ عبد الملك بن المهلّب.

١٤ ـ حَبرة بنت ضَمْرَة[١].

وتنتهي بالعبارة التالية: تَمَّ ما وُجِدَ والْحَمْدُ لله من جوابات[٢] أبِي الشعثاء جابر بن زيد.

بعد هذه الْمَجمُوعة مباشَرَةً تأتِي مَجموعةٌ أخرى من الرسائل بين جَنّاو بن فَتَى وبعضِ علماء الإباضية في فَزّان: (جوابات جَنّاو بـن فَتَى الْمَدْيُونِي إلى بعض أهل فَزّان). وأحسبُ أنّ كِلْتا الْمَجْموعتين من الرسائل قِسْمٌ من كتاب: (جوابات الأئمة) للشيخ إسْمَاعِيل بن موسى الجيطالي[٣].

---

(١) ضَبَطَ النامي بعض هذه الأسـماء على نحوٍ مغاير في النصّ الذي حققـه، وقَدَّمَ معلومات تاريخية عن بعضهم في أطروحته.

(٢) هذا الاسم: (جوابات جابر بن زيد) هو الذي مَشَى عليه النامي في أطروحته عند الإحالة إلى المخطوطة، لكنه اعتمد بعد ذلك في التحقيق اسم: (رسائل جابر بن زيد).

(٣) هذا الاستنتاج من النامي جديرٌ بالدراسة، فهو يَحتمل أن تكون جواباتُ الإمام جابر بن زيد، وجواباتُ علماء فَزّان؛ قِسْـمًا من الكتاب الكبير الذي جمعه العلامـة أبو طاهر الجيطالي (ت: ٧٥٠هـ) مِن ما جَمَعَ من (أجوبة الأئمة) في ثلاثة أجزاء، كما ذكر ذلك البدرُ الشماخي في ترجمته في كتاب السِّيَر.

إنَّ رسائل الإمام جابر بن زيد المذكورة آنفًا تُعَدُّ أقْدَمَ الوثائق الإباضية التي عَثَرْنا عليها. وجابرٌ هو الإمامُ الأول للفرقة الإباضية، وواحدٌ من أهمّ رجالات الحديث لديهم، وقد خَلَّفَ رواياتٍ وأجوبةً كثيرة. ومع ذلك فإنَّ معرفتنا بِحَياته ومَجْرَاها ضئيلةٌ جِدًّا، وأحسب أنَّ هذه الرسائل سوف تُلقي بعضَ الضوء على حياته»[1].

هذه النبذة التي قدمها النامي في مقاله هي **أولُ تعريفٍ بهذه الرسائل**، وفيها رَسَمَ الخطوط العريضة لمضمونها، وأَلْمَحَ إلى أهمية ما ستقدمه دراستُها من كَشْفِ ملامح حياة الإمام جابر، ومرحلة نشأة الحركة الإباضية. وكان النامي نفسُه أوَّل الساعين إلى دراستها وتحليلها، ولا أبالغ إنْ قُلْتُ إن مقاله هذا الذي وَصَفَ فيه مكتشفاتِه من المخطوطات الإباضية كان المنطلق لأبحاثه المستقبَلَة، فكأنه رَسَمَ فيه خطَّةَ عمله للسنوات اللاحقة، وأَتَى على معظم ما وَصَفَه من المخطوطات بالدراسة والتحقيق.

كانت **الخطوةُ الثانية** ـ بعد التعريف بالمخطوطة ـ **رَقْنَها بالآلة الكاتبة** سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م في ٤٣ صفحة. ونلحظ أن النامي في مقاله يصرّح أن ورقتها الأولى مفقودة، ثم إنه في نسخته المرقونة ابتدأ بالورقة الثانية، وكتب أعلاها بخط يده: «بقية الرسالة رقم١. الناقص منها صفحة واحدة». وعند الرجوع إلى النسخة التي صوّرها النامي بالميكروفلم نجدها فعلا تبتدئ بالورقة الثانية، ويظهر من خلال الترقيم الحديث على صفحاتها أنها كانت مبعثرة، فاجتهد النامي في ترتيبها، ولم يجد الورقة الأولى فاعتبرها مفقودة.

---

(١) A Description of New Ibadi Manuscripts from North Africa؛ (مقالٌ باللغة الإنْجِليزيّة)؛ ٢٦ صفحة؛ مَجلّة الدراسات السّامِيّة Journal of Semitic Studies؛ المملكة المتحدة؛ المجلد ١٥/ العدد ١/ ص ٦٣ ـ ٨٧؛ ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

غير أن المخطوطة الأصل ـ التي ما زالت محفوظة إلى اليوم بالمكتبة البارونية؛ برقم ٢٨ ـ تشتمل على الورقة الأولى من الرسائل، ولعلها كانت عند اكتشاف النامي لها ساقطةً أو مُنْدَسَّة بين أوراق مخطوطة أخرى[١]. وعلى كل حال كانت أوراق المخطوطة سيئة، ومتشبعة بالرطوبة، ومتمزقة الأطراف، ومَأْرُوضَة ـ حسب تعبير النامي ـ أي أَتَت الأرضةُ على بعض أجزائها فأَكَلَتْه. فوجد النامي صعوبةً في فك رموزها الخفية، وقراءةِ بعض ألفاظها المستعصية، فكانت الخطوةُ الثالثة البحثَ عن نسخة مخطوطة أخرى للمقارنة، والاستعانة بالمشايخ لتصحيح قراءتها، فأَرْسَلَ نُسَخًا من النص المرقون إلى مَنْ يَسْتَأْنِسُ برأيه من معاصريه.

ويَحْكِي نَفْسُه قصّةَ اشتغاله بِهَا في رسالةٍ وَجَّهها إلى الشيخ أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى (ت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[٢] قال فيها: «أمَّا في نِطَاقِ العِلْمِ النافع فقد فرغْتُ من طباعة ومقابلةِ رسالةِ الشيخ يوسف بن خَلْفُون، وبعثْتُ بنسخةٍ منها للشيخ الجليل الأستاذ بَيُّوض إبراهيم ـ حفظه الله ـ لِمُراجعتها، فهي عنده، وفرغتُ حتى الآن من طباعة رسائل الإمام جابر بن زيد على الآلة الرَّاقنة من نسخةٍ قديمةٍ رديئةٍ، وسوف أطبعُ منها عدةَ نُسَخٍ لأبعثَ لكم منها لتصحيحها، لأن هناك بعض العبارات صَعُبَ عَلَيَّ تَخْريجها جدًّا، وعلمْتُ أن نسخةً منها في مكتبة الشيخ صالِح بن عمر، فلعلَّ أحدًا منكم يَظْفَرُ بفرصةٍ لِمُقَابَلَتِها بذلك الأصل، وسوف يَتِمُّ إرسالُهَا في حدودِ نصفِ شهرٍ بِحَوْلِ الله تعالى...».

---

(١) يبدو لي أن النامي لم يتأخرْ كثيرًا في اكتشاف الورقة الساقطة، لأنه صَرَّح في مقاله الذي وَصَفَ فيه المخطوطة أن الرسالة الأولى موجّهة إلى ناشد (أو راشد) بن خيثم، وهذا الاسم واردٌ في الصفحة الأولى الساقطة، كما صَرَّح بذلك أيضًا في رسالةٍ كتبها للشيبة السالمي مؤرخة في ١٦ نوفمبر ١٩٦٨م. أي بعد اكتشافه المخطوطة في جربة بثلاثة أشهر فقط.

(٢) النامي: رسالة إلى أبي اليقظان (مؤرخة في ٤ أغسطس ١٩٦٩م) في مقدمة الترجمة العربية لأطروحة النامي عن دار الغرب الإسلامي؛ ص٢٦.

والنسخة المرقونة تتضمَّن ١٧ رسالةً أو جوابًا من مَجْموع ١٨ في الأصل المخطوط، موجهةً إلى ١٤ من أتباع الإمام جابر. وقد سبق أن رأَيْنا وجودَ نقص في الرسالة الأولى عند النامي، لكنها لم تكن هي الرسالة الناقصةَ في النسخة المرقونة، فقد أَثْبَتَ النامي ما تبقى منها، وإنما سقطت الرسالةُ الأخيرة ـ وهي الثامنة عشرة ـ من النص المرقون، وهذا أمرٌ يبعث على التساؤل! وكنتُ أَحْتَمِلُ سقوطَ الرسالة الثامنة عشرة من النسخة الواصلة عُمَانَ، وهو احتمالٌ واردٌ وقائم ما دُمْنَا نَجْهَلُ طريقةَ وُصولِهَا، غير أنه يظل محل شكٍّ حتى نُوازِنَهَا بالنُّسَخِ التي وَصَلَتْ إلى جهاتٍ أخرى، ورسالةُ النامي إلى أبي اليقظان المنقولة أعلاه تفيد إرسالَه نُسَخًا من هذه الرسائل إلى وادي ميزاب، لكنا لا نعلم مصيرَها الآن.

وأيًّا كان واقع الحال؛ فمِمَّا يَلْفِتُ النظرَ أن هذه النسخة المرقونة وصلتْ صورةٌ منها إلى عُمَان بطريقةٍ ما، واستقرت بالمكتبة الإسلامية العامّة في رُوِي، وإليها رجع الباحثون في دراساتِهِمْ. وأنا أَحْتَمِلُ أن يكون النامي قد بعثها إلى صديقه العُماني الشيخ سالم بن حَمَد الحارثي (ت: ١٤٢٧هـ)، الذي سَلَّمَها ـ أو سَلَّمَ نسخةً منها ـ إلى وزارة التراث، ثم أُودِعَتْ في المكتبة الإسلامية. لأني وجدتُ ورقتين من هذه النسخة بعُمان، وعليها تصويبات بقلمٍ أَشْبَه بِقَلَمِ الشيخ الحارثي.

وثمة احتمالٌ آخر ـ ولا مانع من وقوع الاحتمالين معًا ـ هو أن تكون الرسائل وصلتْ عن طريق الشَّيْبَة محمد بن عبدالله السالمي (ت: ١٤٠٦هـ)، وذلك ما تؤيده رسائلُ النامي إليه. ففي رسالةٍ مؤرخةٍ في ١٦ نوفمبر ١٩٦٨م كَتَبَ النامي: «وإنما شَغَلَنا عن الكتابة إليكم أنني قمتُ برحلة في ربوع الإخوان في (جبل نَفُوسة) و(جِرْبَة) و(وادي ميزاب)، استغرقتْ أربعة أشهر كاملة، كنتُ أسعى إلى الحصول على بعض المخطوطات التي أعتمدُها في دراستي. لقد

سعدتُ بزيارة الإخوان، وقد وجدتُ بعض بُغْيَتي، والذي أُحِبُّ أن أسألكم عنه هو أنني عثرتُ على بعض كُتُبٍ منسوبةٍ لبعض أئمتنا، مثال ذلك:.... رسائل جابر بن زيد، وقد عثرتُ منها على ١٨ رسالة إلى خواصِّه وأصحابه، يجيب فيها على أسئلتهم، فهل عندكم كتبٌ هذه صفتها؟ وما رأيكم في هذا؟».

إلى أن قال: «وإنْ أَمْكَنَ؛ أرجو أن تكتبوا لي عن هؤلاء الذين كَتَبَ إليهم جابر ـ إن كان لديكم عِلْمٌ بأحوالهم، أو بِمَنْ كَتَبَ عنهم ـ وهم:

١ ـ راشد أو ناشد بن خيثم.

٢ ـ عثمان بن يسار.

٣ ـ ظريف أو طريف بن خليد.

٤ ـ غطريف بن عبد السلام.

٥ ـ الحارث بن عمرو.

٦ ـ عنيفة.

٧ ـ نافع بن عبد الله.

٨ ـ يزيد بن يسار.

٩ ـ عبد العزيز بن سعد.

١٠ ـ مالك بن أسيد.

١١ ـ سالم بن ذكوان.

١٢ ـ نعمان بن سلمة.

١٣ ـ عبد الملك بن المهلب.

١٤ ـ حبرة بنت ضمرة»[١].

---

(١) انظر كتاب: الشيبة أبو بشير محمد بن عبد الله السالمي؛ بقلم: محسن الكندي. ج٢، ص٣٥٨.

ويقول أيضًا في رسالةٍ أخرى غير مؤرخة بعثها من كمبردج (في سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م تقريبا): «وبالنسبة لرسائل جابر بن زيد؛ فسأقوم بتصويرها لكم، مع كتاب النكاح لجابر، وكتاب الصلاة... سأرسل لكم صُورًا منها، وصورة من النسخة التي كتبتُها بالآلة الراقنة لرسائل جابر، وإذا حصلنا على نسخة أخرى منها فأنا أنوي تحقيقها وإعدادها للنشر، مع مقدّمةٍ عن سيرة جابر بن زيد رضي الله عنه، والنسخة كما سترى رديئة وكثيرة التصحيف، مع بعض الخروم لتقدم النسخة، وأنا أعتذر لتأخير إرسالها إليكم، فقد كانت النيةُ إرسالَهَا من وقت بعيد»[1].

وكانت لهذه المراسلات ـ مع أعلام المذهب شرقًا وغربًا ـ ثمرةٌ طيبة، فنقرأ في رسالةٍ من أبي اليقظان للنامي؛ مؤرخة في أول ربيع الأول ١٣٩٠هـ: «أما رسائل الإمام جابر رضي الله عنه فإن الأخ الأستاذ أفلح في صدد الجواب عنها، فانتظره قريبا سيوافيك به إن شاء الله»[2]. ونقرأ في رسالةٍ كتبها الشيبةُ السالمي إلى النامي؛ مؤرخة في ٥ جمادى الأولى ١٣٨٩هـ: «عساك تشفعنا بتصوير ما وجدتَه من أجوبة الإمام جابر بن زيد». ويذكر له في رسالة أخرى مؤرخة في ٢٩ رجب ١٣٨٩هـ عدمَ وجود نسخةٍ منها بعُمان: «وما وعدتَني به من تصوير الرسائل أرجوه، ولك الفضل، وأن لا تعتذر من المذكور بكتابك من الرسائل جميعا، لعدم وجودها عندنا». ثم نَقَلَ له بعضَ ما وَقَفَ عليه في المصادر المتاحة لديه من أخبار الإمام جابر[3].

---

(١) المصدر نفسه؛ ص٣٦٤.

(٢) الرسالة محفوظة في خزانة الدكتور النامي بليبيا. و«الأستاذ أفلح» هو الشيخ بَيُّوض.

(٣) هذه الرسائل كلها محفوظة في خزانة الدكتور عمرو النامي في ليبيا. ومن الطريف أن يقول الشيبةُ السالمي في رسالته معتذرًا للنامي عن شحّ الأخبار التاريخية: «وأصحابُنا كأنهم خُلِقُوا قبل التاريخ، فلا تجد لهم به اهتمامًا!!».

ومن ثمرات هذه المراسلات ـ التي لم أجِدْها مُصَرَّحَةً على لسان أحدٍ؛ فيما بين يديَّ من وثائق ـ: حصول النامي على نسخة أخرى من رسائل الإمام جابر بن زيد. وقد جَبَرَت النقصَ الحاصل في النسخة البارونية، وصَحَّحَتْ بعضَ ألفاظها[1]. كلُّ ذلك كان دافعًا قويا للنامي إلى اتخاذ خطوةٍ رابعة تتمثل في تحقيق الرسائل وإعدادها للنشر، مع مقدمةٍ عن سيرة جابر بن زيد ـ كما ذكَرَ ذلك في إحدى رسائله للشيبة السالمي ـ، ويَسَّرَ اللهُ له الشروعَ في هذه الخطوة، غير أننا نأسف إذ لم نجد سِوى ورقاتٍ من هذا العمل، فيها بياضٌ كثير، وحواشٍ غير مكتملة، تشير إلى أنها مُسَوَّدَةٌ لم تُحَرَّر. ويبدو أن بداية التحقيق هذه لَمْ تُعْقِبْها خطواتٌ أخرى، فلم نظفر بشيء آخر حولها فيما تبقّى من خزانة الدكتور النامي.

والخلاصة أن النامي لم يألُ جهدًا في خدمة هذا التراث الضارب في القِدَم، فقد نَفَضَ الغبار عنه باكتشاف نسخته في المكتبة البارونية، ثم كَتَبَ تعريفًا به يتضمن ملامح عامة عن محتواه وأهميته، ثم رَقَنَ نصَّه بالآلة الكاتبة، وأَوْدَعَهُ نُتَفًا متناثرة من ملحوظاته بقلمه، ووزّعه على أعلام عصره ليستفيد من نظراتهم حوله، كما سَلَّطَ الضوء عليه أيضًا في أطروحته، وتناول بعض جوانبه بتحليلٍ موجز معتَمِدًا على النسخة المرقونة التي خَرَّجها[2]. وسعى إلى

(١) مَرَّتْ علينا من قَبْلُ إشارتان من الدكتور النامي إلى وجود نسخة أخرى سمع بها في خزانة الشيخ صالح بن عمر في ميزاب بالجزائر. ولستُ أدري هل هي بعينها النسخةُ التي حصل عليها فيما بعدُ أو لا؟ ولم أجِدْ في مُسَوَّدات النامي وَصْفًا لهذه النسخة الجديدة، ولا تصريحا بمصدرها، كل ما وجدتُه أنه استعان بها في التحقيق، وسَمَّاها النسخة (ب). وقد وصلتني نسخةٌ مخطوطة للرسائل من خزانة الشيخ صالح بن عمر، لكن ألفاظها لا تتفق مع ألفاظ النسخة التي اعتمدها النامي. وذكر الباحث ابن إدريسو أن بِخزانة الشيخ صالح بن عمر لَعَلِّي نُسْخَتَيْنِ من هذه الرسائل. فلعل إحداهما وصلت إلى النامي. انظر ـ ابن ادريسو مصطفى بن محمد: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص ١٧٣.

(٢) انظر: ص ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٢٣، ١٤٢ من الترجمة العربية عن دار الغرب الإسلامي.

الحصول على نسخة رديفة تساعد في ضبط النص حتى تيسَّرَ له ذلك، ولم يَبْقَ إلا التحرير الأخير، غير أن الأقدار لم تُسْعِفْه إلى ذلك فيما يبدو.

وعلى كُلٍّ فإنَّ النَّصَّ الذي خَرَّجَهُ ـ مرقونًـا ـ كان مَحَطَّ أنظار الباحثين، وعليه بَنَوْا دراسـاتِهِمْ وتحليلاتِهِمْ، ونَذْكُرُ هنا من الدراسات التي بُنِيَتْ على نص الرسـائل الذي خَرَّجه النامي: دراسـةَ الدكتور أحمـد درويش في كتابه «جابر بن زيد ـ حياةٌ من أجل العِلْم» (مط: عُمَان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ودراسـةَ الدكتور صالِح بن أحمد الصَّوَّافي في كتابه «الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة» (مط: عُمَان ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ودراسة الدكتور زايد الجهضمي في رسـالته «حياة عمان الفكرية حتى نِهَاية الإمامة الأولـى ١٣٤هـ» (مط: عُمان ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ودراسـة الدكتور سـامي صقر أبو داود في رسـالته «الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية» (مط: عُمَان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ودراسـةَ الدكتور فرحات بن علي الجعبيري في بَحْثِهِ «تَحْليل رسائل الإمام جابر بن زيد تَمْهيدًا لتحقيقها» (مط: الأردن ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)[1]. ودراسة الدكتور محمد بن سعيد المعمري في أطروحته للدكتوراه بألمانيا.

أما نَصُّ التحقيق الأخير فلم يُقَدَّرْ له الانتشـار، وبقي قابعًا ضمن أوراق النامي حتى ظَهَرَ مِنْ وقتٍ قريب. ولا ريب أن هذا الجهد الذي بذله النامي في نص الرسائل حَرِيٌّ أن يُنسب إليه؛ لأسبقيته وفضله في الكشف عنه والتعريف به وتحليل مضمونه، لذا سـعيتُ في هذا الكتاب إلـى أن ألتزم بالقَدر الذي حرره النامي، على الرغم من وجود نقصٍ فيـه، وجَمَعْتُ بين ملحوظاته التي دَوَّنَها على حواشـي النسـخة المرقونة، وبَيْنَ تعليقاته التي ضمّنها نسـختَه الأخيرة، وسـيجد القـارئ نصوصًا استشـكلها النامي فوضـع عليها علامة

(١) نشـرها الدكتور فرحات الجعبيـري فيما بَعْـدُ مُقَدِّمَةً لتحقيـق الرسـائل (الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ـ السيب/ سلطنة عمان).

استفهام (؟)، كما سيجد بياضا في بعض المواضع لم يَهْتَدِ إلى إكماله في النسختين، أو كلماتٍ مشكلة لم يَعْرِفْ وجهَ الصواب في قراءتها. وكلُّ ذلك أمرٌ واردٌ جدًّا في نَصٍّ تقادَمَ العَهْدُ به، وتوالتْ أيدي النُّسَّاخ على تحريف ألفاظه.

واستكمالا لما توصَّلَ إليه النامي من استنتاجاتٍ حول النص وظروفه، وتحقيقًا لرغبته في تصديره بحديثٍ عن سيرة الإمام جابر بن زيد؛ ارتأيتُ أن أضعَ ترجمةً للفصل الذي كتبه النامي في أطروحته عن الإمام جابر ونشاطه العِلْمِيّ والعَمَلي، ليكون تمهيدًا بين يدي النص. عسى أن أكونَ قد وُفِّقْتُ في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، وأسأل الله قَبولَه ونفعه، وأشكر كلَّ مَنْ مدّ يد العون لي في إنجازه، وأخصّ بالشكر عائلة النامي الكريمة التي وَضَعَتْ ثقتها فيّ. وإلى الله نتضرع أن يجزي النامي عنا خيرَ الجزاء على أعماله الجليلة المباركة.

سلطان بن مبارك الشيباني

الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ

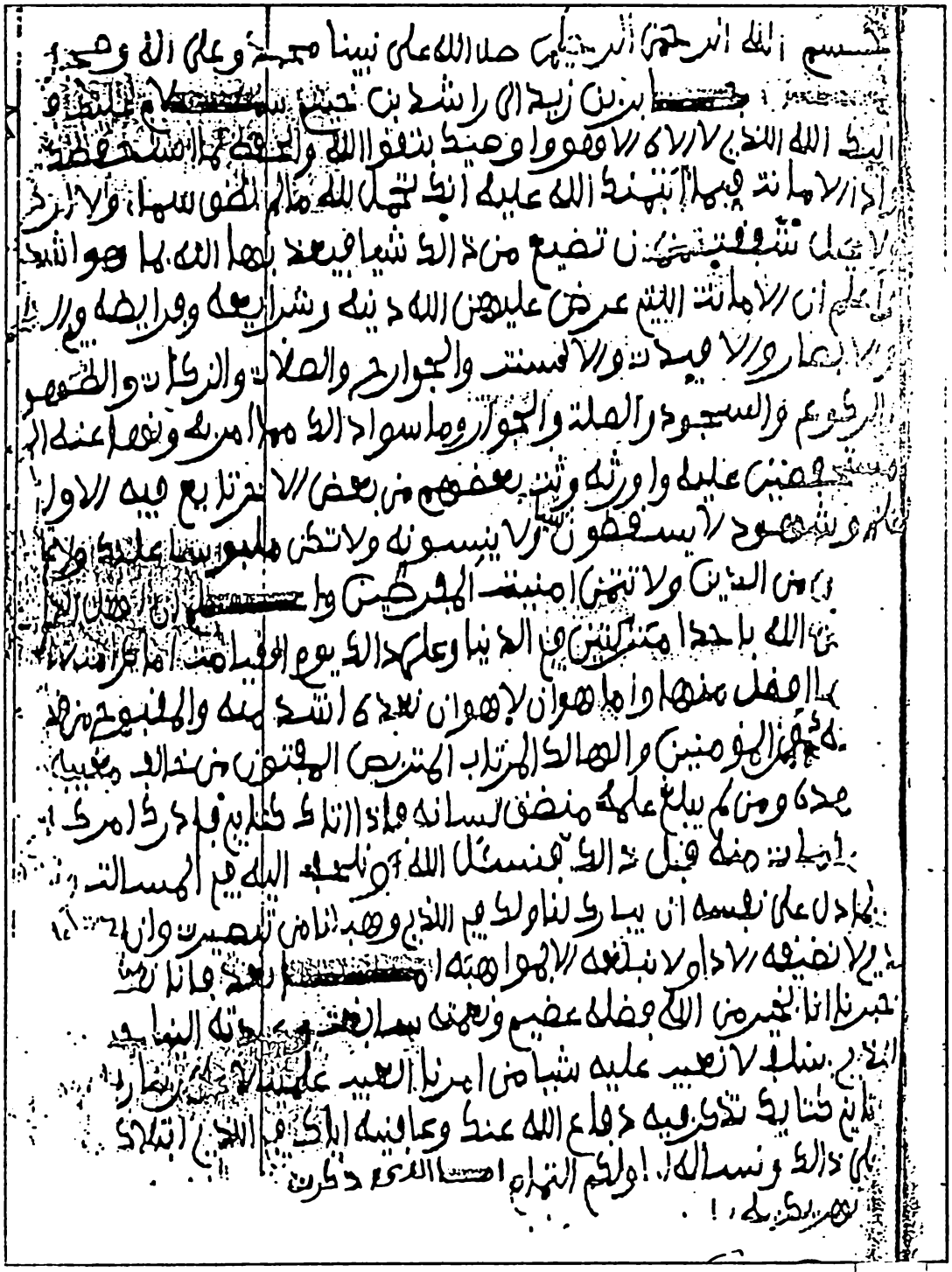

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد

نسخة المكتبة البارونية ـ جربة/ تونس

وهي الصفحة التي لم يعثر عليها النامي بادئ الأمر

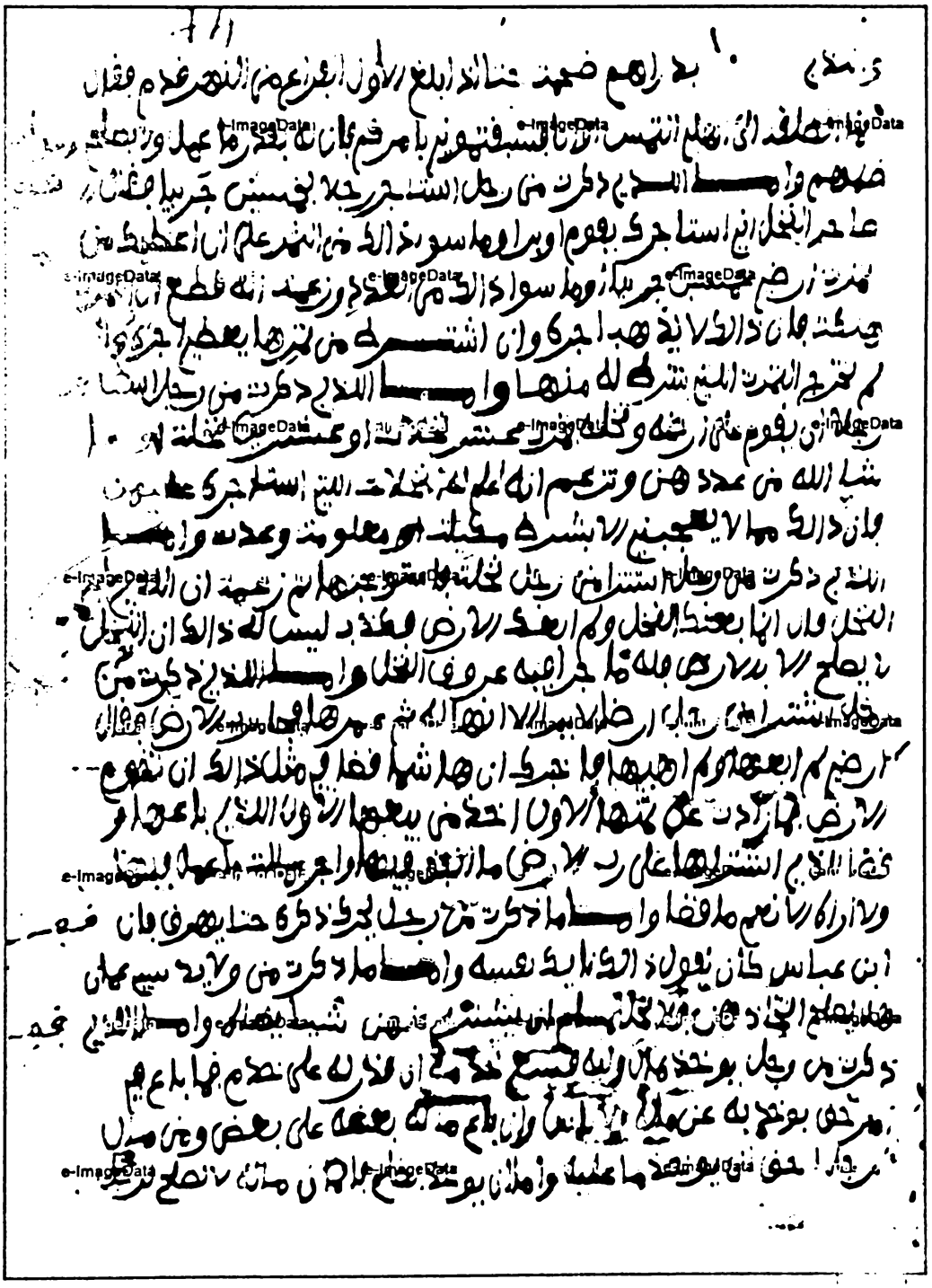

صورة الصفحة الثانية من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد
نسخة المكتبة البارونية ـ جربة/ تونس
مأخوذة من شريط الميكروفلم الذي صوّره النامي

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد
نسخة المكتبة البارونية ـ جربة/ تونس

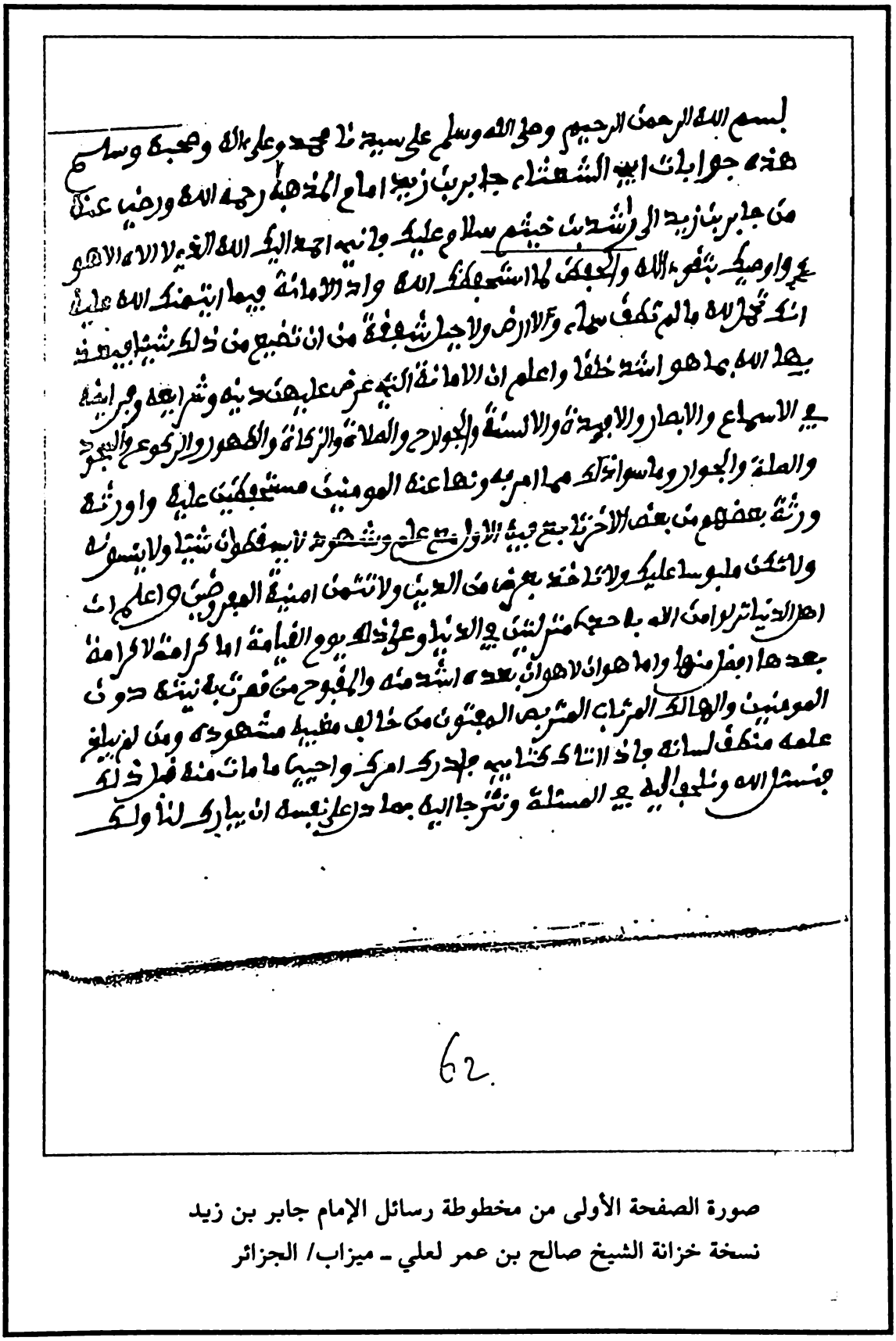

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد
نسخة خزانة الشيخ صالح بن عمر لعلي ـ ميزاب/ الجزائر

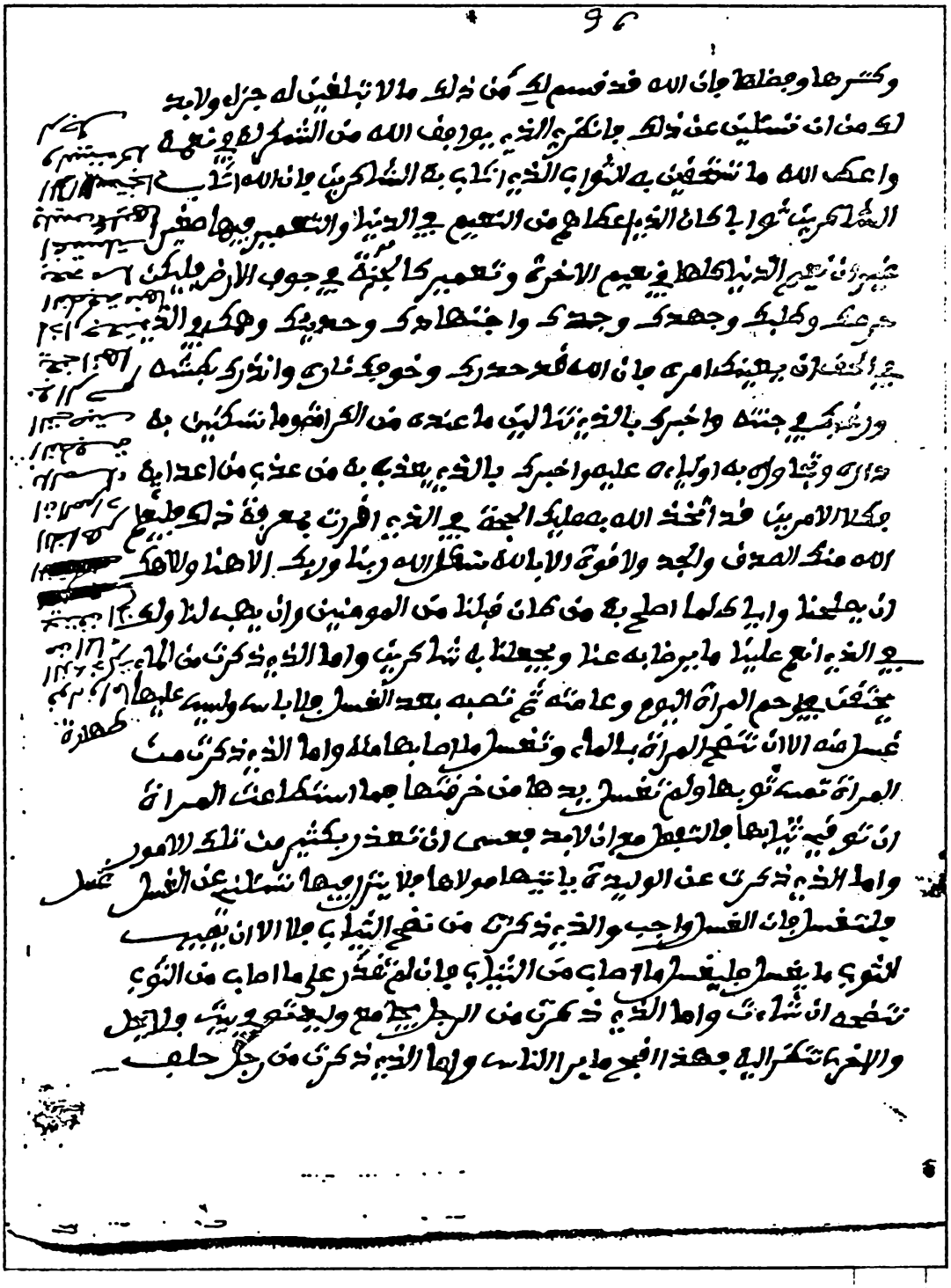

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة رسائل الإمام جابر بن زيد
نسخة خزانة الشيخ صالح بن عمر لعلي ـ ميزاب/ الجزائر

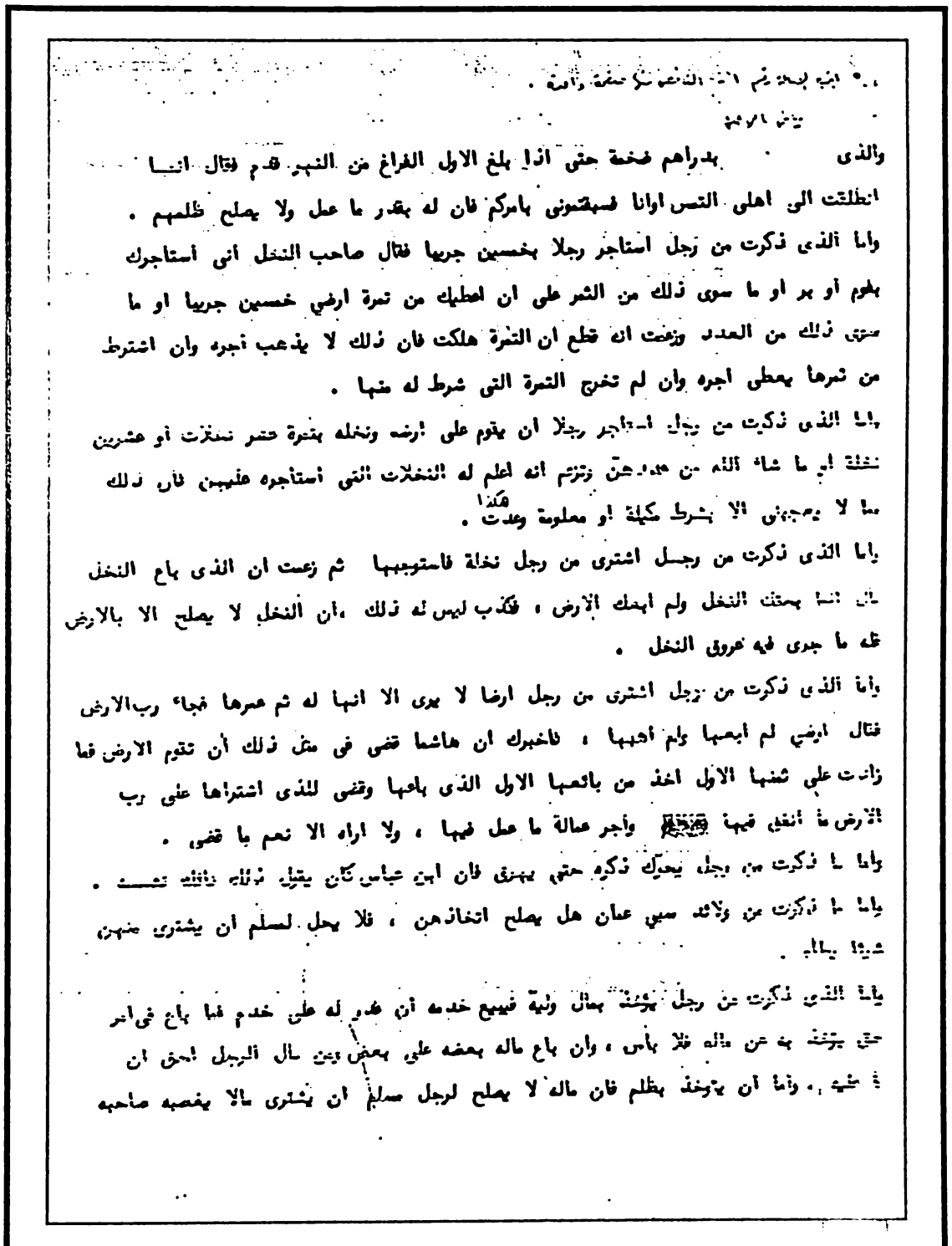

والذى [illegible] بدراهم فحة حتى اذا بلغ الاول الفراغ من النهر قدم فقال انـا انطلقت الى اهلى التمس اوانا فسيقضونى باسركم فان له بقدر ما عمل ولا يصلح ظلمهم .

واما الذى ذكرت من رجل استاجر رجلا بخمسين جريبا فقال صاحب النخل انى استاجرك بكوم أو بر او ما سوى ذلك من الشعر على ان اعطيك من ثمرة ارضي خمسين جريبا او ما سوى ذلك من العدد وزعمت انه قطع ان الثمرة هلكت فان ذلك لا يذهب اجره وان اشترط من ثمرها يعطى اجره وان لم تخرج الثمرة التى شرط له منها .

واما الذى ذكرت من رجل استاجر رجلا ان يقوم على ارضه ونخله بثمرة حتى تسقيت او عشرين نخلة او ما شاء الله من عددهن وزعم انه اعلم له النخلات التى استاجره عليهن فان ذلك مما لا يصحبنى الا بشرط مكيلة او معلومة وعدت هكذا .

واما الذى ذكرت من رجل اشترى من رجل نخلة فاستوجبها ثم زعمت ان الذى باع النخل قال انما بعتك النخل ولم ابعك الارض ، فكذب ليس له ذلك ،ان النخل لا يصلح الا بالارض فله ما جرى فيه عروق النخل .

واما الذى ذكرت من رجل اشترى من رجل ارضا لا يرى الا انها له ثم عمرها فجاء رب الارض فقال ارضي لم ابعها ولم اهبها ، فاخبرك ان هاشما قضى فى مثل ذلك أن تقوم الارض فما زادت على ثمنها الاول اخذ من بائعها الاول الذى باعها وقضى للذى اشتراها على رب الارض ما انفق فيها وأجر عمالة ما عمل فيها ، ولا اراه الا نعم ما قضى .

واما ما ذكرت من رجل يحدث ذكره حتى يهزق فان ابن عباس كان يقول ذلك ثابت .

واما ما ذكرت من ولائد سبي عمان هل يصلح اتخاذهن ، فلا يحل لمسلم ان يشترى منهن شيئا بمال .

واما الذى ذكرت من رجل يؤخذ بمال وليه فيبيع خدمه أن عليه على خدم فما باع فى امر حتى يؤخذ به عن ماله فلا بأس ، وان باع ماله بعضه على بعض حتى ينال الرجل الحق ان شاء ، واما أن يؤخذ بظلم فان ماله لا يصلح لرجل مسلم ان يشترى مالا يغصبه صاحبه

صورة الصفحة الأولى من النسخة التي رقنها النامي بالآلة الكاتبة
نسخة المكتبة الإسلامية ـ روي/ عُمان

اعطيناه جميعا بيننا من الذى لنا ، فالمال من الرجل رزق ان يرد عليه ماله ،ليس لقوم ان ياخذوا مال من مال آخر وان اعطوه ان كان على هذا النحو، الا ان يكون القوم فيما بينهم بمنزلة اهل اللحم (؟) فقد اخبرتك ، وقد بلغنى انهم يتقولون فى سعيهم على ذلك .

واما الذى ذكرت هل يجيء حال من الميراث يكون فيه لاهل النعمة نصيب ؟ واما ابن عمر فقد بلغنى انه اوتى بميراث مولاه فاعتق عنه به وتصدق . واما ابن عباس فكان يقول : لا ارى اهل النعمة — اذا لم يكن غيرهم وجعل لهم ولاية — الا احق به ، كان يجعل الولاية شبه الطعمة لهم ميراثه واما ان عرف اهل الرحم والميراث لهم وان لم يكونوا ممن ينالهم شيء من الميراث فى القسمة ، وقد يقول الناس فيه ما قد علمت .

واما الرقيق ذكرت من انكاتبة لها المال ، كاتبت على امر ثم اطلع مواليها على مالها فقالوا كتمتنا مالها ، فان كانت سئلت عن مالها فاخبرتهم الا مال لها فالمال مالهم ، وان كانوا كاتبوها ولم يفتشوا عن شيء فعسى ان يقضى لها مالها ، الا ان ابن عباس كان يقول : ان كان له ولد كتبهم فى الرق ، ويزعم مع ذلك عكرمة — فتى ابن عباس — ما كان من رقيق لم نعلمهم فى الرق ، ويقول : انما كاتب على نفس واحدة ، وما ارى ان جاز له ماله ان يجعل الرقيق بمنزلة المال ، وان احب مكاتبة الناس ان يقول رجل لى من الولد كذا وكذا ، ولى مال ، وانا بخير ، فلا يكون عليه فيه تباعة .

واما الذى ذكرت من مكاتب كاتب فكتب له الكتاب فلم يعط شيئا من اجل صحيفة كتبها الا ان يعلم منه خير ونصح وجهد ، فليس لهم ان يردوه وهو غريم من الغرماء لهم ان يستحثوه بالذى لهم قبله ، ويشتدون عليه ، غير ان عكرمة يقول : اذا ادى من مكاتبته شيئا فهو غريم من الغرماء ، وان لم يؤد اخذ بالشرط الذى عليه ، ويزعم ان اهل المدينة لم يزالوا يفعلون ذلك .

واما الذى ذكرت من مال المضاربة يعطاه الرجل هل للرجل صاحب المال ان يشترط عليه ؟ فان ابن عباس ينهى عن ذلك الا ان يقول له لا تبرح بمالى ولا تخاطر به بحرا ،فاما ان يقول اشترى كذا وكذا ولا تشتر كذا وكذا فلا .

واما الذى ذكرت من شركة الدهاقين فى ارضهم فلا يحل لمسلم شركة مشرك من اهل الكتاب ولا غيرهم لما يستحلون من الذى يحرم عليهم . والسلام عليك ورحمة الله

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة التي رقنها النامي بالآلة الكاتبة
نسخة المكتبة الإسلامية ـ روي/ عُمان

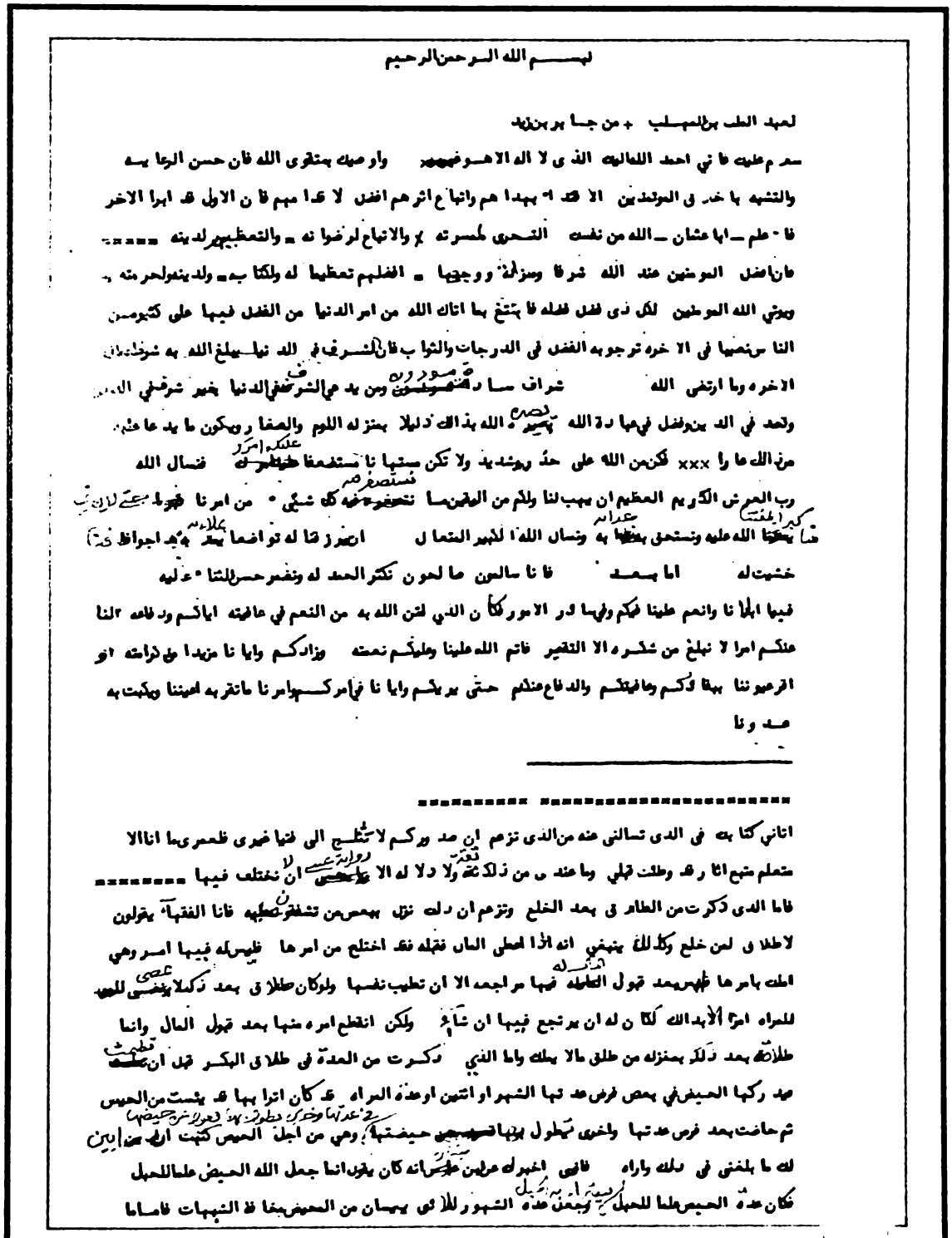

صورة صفحة من نسخة مرقونة للرسائل، وعليها تعليقات بخط مجهول (المصدر: خزانة خاصة/ عُمان)

رسائل جابر بن زيد

عشرون رسالة بعث بها إلى تلاميذه وأهل مودته ممن كتبوا إليه يستفتونه ويقتبسون من علمه وهم :

١ - ماشد بن خيثم
٢ - عثمان بن يسار
٣ - ظريف بن خليد
٤ - ظريف بن عبد الرحمن
٥ - الحارث بن مرة
٦ - عنيف
٧ - نافع بن عبد الله (عبد الله)
٨ - سالم بن ذكوان
٩ - ظريف بن خليد
١٠ - يزيد بن يسار
١١ - عبد العزيز بن سعد
١٢ - مالك بن أسيد
١٣ - سالم بن ذكوان
١٤ - نعمان بن سلمة
١٥ - نعمان بن سلمة
١٦ - ظريف بن خليد
١٧ - مالك
١٨ - عبد الملك بن الهلب
١٩ - " " "
٢٠ - حبرة بنت ضمرة

صورة غلاف النسخة النهائية التي حررها النامي بخطه الجميل
ومن الغريب أن يذكر فيها أنها عشرون رسالة!

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠

من جابر بن زيد إلى راشد[1] بن هيثم ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأوصيك بتقوى الله والحفظ لما استحفظك الله ، وأداء الأمانة فيما ائتمنك الله عليه ، إنك تحمل لله ما لم تطق سماء ولا أرض ولا جبل شفقة من أن تضيع من ذلك شيئًا فيعذبك الله بما هو أشد خلقًا واعلم أن الأمانة التي عرض عليهن الله دينه وشرائعه وفرائضه في السمع والبصر والفريضة واللسنة والجوارح والصلاة والزكاة والطهور والركوع والسجود والصلة والجوار وما سوى ذلك مما أمر به ونهى عنه ، المؤمنين مستحفظين عليه وأوصيته بعضهم من بعض الآخر تابع فيه الأول . مع علم وشهود لم يستطعن شيئًا ولا ليسوغه ، فلا تكن ملبوسا عليك ، ولا تخدع لعرض من الدنيا ، ولا تتمنّ أمنية المفرطين ، واعلم أن أهل الدنيا نزلوا من الله بأحد منزلتين في الدنيا وعلى ذلك يوم القيامة إما كرامة لا كرامة بعدها أفضل منها ، وإما هوان لا هوان بعده أشد منه ، والمقبوح من قصرت به نيته دون المؤمنين ، والبائد المرتاب المتربص المفتون من خالف مغيبه مشهده ، ومن لم يبلغ علمه منطق لسانه ، فإذا أتاك كتابي فادرك أمرك وأحيي ما مات منه قبل ذلك ، فسأل الله وتلحف الله في المسألة ونتوجه إليه بالدال على نفسه أن يبارك لنا ولك في الذي وهب لنا من تبصيره وأن يعيننا على الذي لا نطيقه (الا بـ) [؟] ولا نبلغه إلا بواهبه ،

---

(١) رسم في المخطوط هكذا : راشد فلعله راشد .

صورة الصفحة الأولى من النسخة النهائية بخط النامي

٣

من جابر بن زيد إلى ظريف[1] بن خليد، سلام عليك
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيك بتقوى
الله العظيم، وأطلب بك حاجتك إلى الله، فإن العباد لم يصيبوا
الفلاح إلا طلبوا من قبل الله بمثل التقوى؛ بها يعطي الله الرزق
في الدنيا، والمخرج من كروبها، والمرفق من منافعها، ويسير
من عسرها، وبالتقوى تصاب الراحة والروح عند الموت
ورضاء الله ورضوانه ويسره، وتنزل في الجنان، والقربة
من الله، وعند ذلك عرف المتقون غب التقوى وعاقبتها،
ويصغر في أنفسهم الذي عملوا في التقوى لما رأوا من عظيم
ثوابها، وقد المحسنون لو أنهم ازدادوا إحسانا مع أنهم بلغوا
بالذي أعطوا به ما يريدون أن أحدا أثيب مثل ثوابهم،
وكل المتقيه في كفاية يشتغل فيها.
واعلم أنه لم يصب المتقون من [فيما بعد][2] الذي القاهم
الله عند الموت من التكرمة بالتسليم والريحان، إلى الذي أصابوا
فيما بعد ذلك أفضل منه، حتى أضجعوا في مضاجعهم، وحتى
بعثوا منها، في كل تلك المواطن استأنفوا من الكرامة ما لم
يكونوا يصيبوا قبلها أفضل منها، فلم تنته بهم كرامة الله ترفعهم
في المزيد حتى عهد بهم العاهد قاعدية عند ربهم في معدة
الملك ملوكا مخبرون، قد خلعوا [illegible] جلة الأذى

(١) في كل النسختين ضريف؛
(٢) ما بين قوسين مختوم في أ، والدال أثبتها ب، والعبارة غير ظاهرة في جـ

(١١) صورة صفحة أخرى من النسخة النهائية بخط النامي

من الهوان في مرقده الذي أصابه عند مبعثه ، وينبيه ذلك كله الذي سيعه إليه من نار الله الكبرى إن قذف به في النار أسيرا بياه إلى عنقه في الأغلال ، ورجلاه موثوقتان إلى ناصيته ، عليه كوة يأكل بعضه بعضا على جلد لديمالك الذي يصيبه من الحريق أن يحترقه ، فيكسو جلدا غضا[1] رقيقا مع مزيد في الذي ذكر الله وما لم يذكر ، وكفى بالذي ذكر شقاء وعذابا ، غير أنه من دخل النار فقد شقي وخزي خزيا طويلا لا انقلاع له ، فعهد العاهد بالمفرطين قد أرتجت عليهم أبواب النار ، وسلط عليهم ملائكة نزعت منهم الرحمة واعطوا القوة في غلظ وفظاظة[2] ، فليس في مثل الذي ذكر الله من الهوان لمن عقله وأيقن به وصدق به ما يهون في أنفس من يعقله ، ولكنا لو نعقل الذي نصف من ذلك ، أو نذكر ، أو يبلغ نعته قلوبنا أو تصدقه به لم نلتفت إلى شيء من الدنيا حتى ننظر إلى ما تصير به الأمور من ذلك ، وما نعمل ذلك إلا بالله الذي خلق الخلق لجنة ونار ، فحثهم العباد إلى ما خلقوا له . فنسأل الله الرحمن الرحيم لجلاله[3] وبقاء وجهه وحسنه ونوره وجماله أن يجعل سعينا عنده السعادة[4] .

أما بعد ،

فإنا سالمون صالحون إن اتقينا الله بحقه . وقد أتانا كتابك تذكر فيه أنك من أهل ودك وصنيعتك ومناصحتك لما جعل الله بيننا وبينك من الإسلام ، فهو أفضل النسب وأفضل ما تواصل الناس به وتسبب[5] مبلهم بحبله .

---

(١) في ب : غظا
(٢) في ب : فظاظة
(٣) في ب : بجلاله
(٤) في ب : للسعادة
(٥) في النسخة هكذا ، ولعله تشبث .

صورة صفحة أخرى من النسخة النهائية

بين يدي الرسائل

جابر بن زيد الأزدي مؤسس المدرسة الإباضية(*)

بقلم: عمرو خليفة النامي

أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجَوْفِي، يعود نسبه إلى بني عمرو بن اليَحْمَد، أحد فروع قبيلة الأزد، وهو من قرية (فَرْق) الواقعة بين (منح) و(نزوى) في عُمان[1] حيث من المحتمل أن يكون مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك مع أسرته ليستقروا في (درب الجوف) بالبصرة؛ المكان الذي أخذ اسمه

(*) هذا التصدير فصلٌ مِن أطروحة دكتوراة باللغة الإنجليزية؛ قدمّها النامي إلى جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة، أثناء دراسته فيها فيما بين سنتي ١٩٦٧م و١٩٧١م، والأطروحة تحمل عنوان (دراسات في الإباضية) وقد استوفى فيها ما يتعلق بالإباضية فكرًا وتاريخًا وفقهًا وعقيدةً ومنهجًا. ونظرا لما احتواه هذا الفصل من حديثٍ عن حياة الإمام جابر ومنهجه الفكري والدعوي مع تحليلات مفيدة مُسْتَخْلَصَة من رسائله؛ ارتأيتُ أن أجعله تصديرًا لتحقيق هذه الرسائل، خاصة أننا لم نجدْ مُقَدِّمَةً كتبها الدكتور النامي لعمله.

(١) ابن مداد، محمّد بن عبد الله: صفة نسب العلماء وموتهم وبلدانهم (مخطوطة مصورة من مجموعتي) ص ٤. ويذكر ابن حبان أن جابرًا وُلِدَ في مكان يُسمّى الحُرَقَة، قريبًا من عُمان، لكن يقرب أن يكون هذا تحريفًا لكلمة (فرق) ناشئًا عن خطأ في التهجئة. راجع: ابن حبان البُستي؛ كتاب مشاهير علماء الأمصار، بتحقيق: مانفريد فليشهامر (القاهرة: ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩)، ص ٨٩.

من المنطقة التي كانت قبيلة جابر تقطنها في عُمان[١]. وقد ذكر ياقوت موضعا في عُمان كانت تسكنه الأزد يُعرف بـ: جوف الحَمِيلَة[٢].

ومن المحتمل أن تكـــون عائلة جابر قد قدمـــت البصرة مع الجيش الذي جهزه عثمان بن أبي العاص لقتال الفـــرس، وقد ضمَّ هذا الجيش عددا كبيرا من الأزد. ووفقًا للســـالمي؛ فإنه بعد هزيمـــة الفرس ومقتل قائدهم شهرك أو ابن الحمراء توجه الجيش نحو فارس، وعسكر في تَوَّج، ثم تحرك إلى البصرة حينما كان عبدالله بن عامـــر عاملاً عليها للخليفة عثمان بن عفان[٣].

وقيل إن الرجل الذي قتل قائد الفرس هو جابر بن حَدِيد اليحمدي[٤]، وهو ينتمي إلى نفس قبيلة جابر بن زيد، ما يشـــير إلى أن أفـــرادًا مِن هذه القبيلة كانـــوا ضمن ذلك الجيـــش، ثم اســـتقروا في البصـــرة أثناء خلافة عثمان بن عفان. ويرى السالمي أن جابرًا ولد في فرق بعُمان، ثم رحل إلى البصرة في طلب العلم[٥]، لكن هذا الرأي يمكن أن يُعترض عليه بأن جابرًا لو رحل إلى البصرة لِطَلَبِ العلم فقط لَكَانَ عاد إلى عُمان بعد ذلك ليجتمع بأســـرته، والواقع أنه عاش في البصرة سائر حياته، ما يؤيد أن الرحلة كانت برفقة العائلة للاستقرار هنالك.

---

(١) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: التاريخ الكبير (حيدر أباد ١٣٦١هـ). ١/٢ ص٢٠٣، تعليق.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦) ج٣، ص١٧٥. ويذكر الأصمعي أن (الجوف) تقع في اليمن. وانظر: ابن قتيبة؛ عبدالله بن مُسْـلِم: كتاب المعَارِف. تحقيق محمد الصاوي (القاهرة ١٩٣٤) ص٢٠٠.

(٣) السالمي؛ عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان (الطبعة الثانية: القاهرة ١٣٤٧هـ) ص٥٥ ـ ٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٦.

(٥) السالمي؛ عبدالله بن حميد: حاشية الجامع الصحيح (القاهرة ١٣٢٦هـ) ج١، ص٨.

وحول تاريخ ميلاد جابر تذكر المصادر التواريخ التالية: ١٨هـ (٦٣٦م)[١]، و٢١هـ (٦٣٩م)[٢]. بينما تشير أخرى إلى أن جابرًا كان موجودًا بالمدينة في اليوم الذي بويع فيه الخليفة الأول أبو بكر[٣]. ولا تتوافر لدينا معلوماتٌ عن طفولة جابر أو حياته المبكرة، كما لا نعرف شيئًا عن والديه، لذلك، سوف نتابع هنا في هذه الدراسة **مسيرة تعلمه وثقافته**، متناولين إياها بشيءٍ من البحث والتفصيل.

إن العلوم الإسلامية لم تكن قد تَشَكَّلَتْ بعدُ في ذلك العصر الذي عاش فيه جابر، فإلى جانب القراءة والكتابة؛ كان القرآن الكريم من أول ما يحرص المسلمون على حفظه عن ظهر قلب، ثم أحاديث رسول الله ﷺ، ثم المأثور من آراء الخلفاء الأوائل والصحابة البارزين.

أما المعلمون الذين يمكن تحصيل هذه المعارف الإسلامية منهم فهم صحابة رسول الله ﷺ، وقد كان جابر محظوظًا جدًّا لمعاصرته عددًا كبيرًا من الصحابة الأفذاذ، وروي عنه أنه لقي سبعين صحابيًّا ممن شهد غزوة بدر الكبرى، وحوى كلَّ ما عندهم من الأحاديث والأخبار[٤]، كما لقي أيضًا السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ، وسألها عن بعض ما يتعلق بحياة الرسول ﷺ

---

(١) البَرادي؛ أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة في ما أخلّ به كتاب الطبقات (طبعة حجرية: القاهرة ١٣٠٢هـ) ص١٥٥. والقطب؛ محمد بن يوسف اطفيش: شرح عقيدة التوحيد (طبعة حجرية: الجزائر ١٣٢٦هـ) ص١٣٢.

(٢) الوارجلاني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم: العدل والإنصاف في مسائل الفقه والاختلاف (مخطوطة من مجموعتي) ج١، ص١٩٧. والشماخي؛ أحمد بن سعيد: السير (طبعة حجرية: القاهرة ١٣٠١هـ) ص٧٧.

(٣) مجهول: كتاب نوازل نفوسة (مخطوطة الباررونية ـ جربة) ص٢٠٨ ب. والمصعبي؛ أبو يعقوب يوسف بن محمّد: حاشية على المُصَرِّح (مخطوطة الباروني ـ كباو) ص١٤٧ أ.

(٤) المصدر نفسه؛ ١٤٧ ب. ابن مداد؛ مرجع سابق. ص٤.

الخاصّة[١]. وناقشها في القضايا السياسية التي طرأت في المجتمع المسلم، وكان لها دورٌ رئيسٌ فيها[٢].

وإلى جانب عبد الله بن عمر، وعائشة، وابن مسعود، وأنس بن مالك، كان المعلم الأكثر تأثيرا في جابر هو عبد الله بن عباس[٣]، أغزر صغار الصحابة علمًا، والمعروف بـ(حَبر الأمة) وبـ(البحر) لسعة علمه بالقرآن وتفسيره وبالسنة النبوية الشريفة، وقد كان جابرٌ الصديقَ المقرّب لابن عباس والتلميذَ الملازم له[٤].

تلقّى جابرٌ أحاديثَ رسول الله ﷺ من جميع الصحابة الذين قابلهم في البصرة والمدينة ومكة، وكان يغتنم مناسبة الحج للقاء الصحابة الذين يقدمون مكة في ذلك الوقت من مختلف بلاد الإسلام لأداء فريضة الحج، حتى حُكي أنه سافَرَ من البصرة إلى مكة ما لا يقل عن أربعين مرة للحج[٥]،

---

(١) عبد الله بن عبد العزيز: كتاب نكاح الشغار (مخطوطة البارونية ـ جربة. ومخطوطة دار الكتب ـ القاهرة) هذه المعلومة تجدها في مخطوطة أخرى ملحقة بهذا الكتاب تتضمّن روايات إباضية تحت عنوان: باب فضائل جابر بن زيد، ص٢٢. قارن: القطب؛ محمد بن يوسف اطفيش: شرح النيل (طبعة القاهرة ـ نسخة كاملة بحيازة علي معمّر، نالوت ـ ليبيا) ج/ ص٢٣٣ والفقرة في ص٢٣٣ ـ ٢٣٤. ابن سلّام بن عَمرو بن تُمَطْنين: بدء الإسلام وشرائع الدين (مخطوطة سالم بن يعقوب ـ جربة/ تونس)، ص٤٢.

(٢) الشماخي؛ سير، ص٦٧.

(٣) أبو نعيم؛ أحمد عبد الله الإصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (القاهرة ١٩٣٢م) ج٣، ص٩٠، الذهبي؛ محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ (حيدر أباد. د.ت) ج١، ص٦٢. ابن حجر؛ أحمد بن علي: تهذيب التهذيب (طبعة حيدر أباد: ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ) ج٢، ص٣٨ ـ ٣٩، ابن مداد، مرجع سابق، ص٤.

(٤) أبو نعيم، حلية، ج٣، ص٨٥ ـ ٨٦، الذهبي، تذكرة، ج١، ص٦٢.

(٥) البغطوري؛ محمد بن مُقْرَان: سير مشايخ نفوسة (مخطوطة البعطور ـ جربة/ مخطوطة سالم بن يعقوب ـ جربة) ص٣.

الأمر الذي يدل على أنَّ نَهَمَه وشَغَفَه بتحصيل الأحاديث النبوية جعله يقطع المسافات الطوال، ويتحمَّل عناء الأسفار، لجَمْعِها والإلمامِ بقدرٍ كبيرٍ منها. ومن رحلاته في طلب العلم: رحلته إلى المدينة قاصدًا بني عمرو بن حزم الأنصاري، يسألهم أن يُطِلعوه على الرسالة التي بعثها رسول الله ﷺ مع أبيهم عمرو بن حزم إلى أهل اليمن متضمنةً أنصبة الزكاة ومقاديرها، فأجابوه إلى ذلك[١].

اكتسب جابر علمًا واسعًا بالقرآن والحديث والفتيا، ولقد اعترف له ابن عباس بالعلم وشهد له بذلك، فقال في حقه: «لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوْسَعَهم عِلْمًا عما في كتاب الله»[٢]. كما وَصَف جابرًا أنَّه مِنَ العلماء، وأنه يملك رسوخاً عالياً في العلم، بحيثُ لا يُحتاج عند وجوده إلى اللجوء إلى غيره في توضيح الأحكام الشرعية، حتى ابن عباس نفسه. فقد روي عن الربيع ـ وهو رجلٌ من البصرة ـ أنه قال: سألتُ ابن عباس رضي الله عنهما عن شيءٍ، فقال: «تسألونني وفيكم جابر بن زيد!؟»[٣].

ويتفق كلٌّ من الصحابيَّيْن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله الأنصاري مع ابن عباس في نظرته إلى جابر، فقد روى البخاري عن جابر بن زيد أنه قال: «لقيني ابن عمر في الطواف فقال: يا جابر إنك من فقهاء أهل البصرة، وإنك ستُسْتَفْتَى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق أو سنةٍ ماضية، فإنك إنْ فعلتَ غير ذلك

---

(١) الوارجلاني؛ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم: كتاب الدليل لأهل العقول (B.M. Or. 6564) ص٣٨ أ. والعدل، مخطوط ج١، ص٧٢ من رواية ابن عبد البر.

(٢) ابن سعد؛ محمَّد: الطبقات الكبير. بتحقيق: إدوارد ستشن (ليدن: ١٩٠٤ ـ ١٩٤٠م) ج٧، ص١٧٩ ـ ١٨٠، البخاري، تاريخ، ١/٢ ص٢٠٤، الذهبي؛ مرجع سابق، ج١، ص٦٢، أبو نعيم، مرجع سابق، ج٣، ص٨٥، ابن حجر، مرجع سابق ٣٨/٢.

(٣) المصادر المذكورة في الهامش السابق.

فقد هلكت وأهلكت»[١]. وروي أيضًا عن زيد بن جبير قال: سألتُ جابر بن عبد الله الأنصاري عن مسألة، فقال فيها، ثم قال: «كيف تسألوننا وفيكم أبو الشعثاء!؟»[٢].

نرى مما سَبَق أنَّ جابرًا كان أحد رجال العلم البارزين في البصرة، بل أصبح مفتي البصرة فيما بعد[٣]، وكان أعلمَ من الحسن البصري بشهادة محمد بن محبوب[٤]، وبذل حياته كلها في إفتاء الناس، وتعليمهم أحاديث رسول الله ﷺ، ونَقْلِ معرفته الواسعة بتعاليم الإسلام إلى تلامذته وقاصديه، ونظرًا لكونه تابعيًّا بارزًا فإنَّ أثره في المجتمع المسلم الناشئ يمكن أن يُفهم في سياق إدراك الدور الكبير الذي اضطلعت به طبقةُ التابعين، لقربهم من العهد الزاهر، وتَلَقّيهم المباشر عن الصحابة، فكانوا خيرَ خَلَفٍ لهم، وقاموا بواجبهم في نقل تلك المعارف إلى الأجيال اللاحقة.

ويمكن القول إن جابرًا كان باستطاعته التمييز بين المواقف المتضاربة في الأحداث السياسية التي طرأت في المجتمع الإسلامي الناشئ، بداية من النزاع الأهلي أثناء خلافة عثمان، وانتهاءً بسيطرة معاوية على الحكم، وإنه كان قادرًا على تكوين فهمٍ واضح لمجريات تلك الأحداث السياسية المعقَّدة؛ لأسباب منها:

---

(١) البخاري؛ مرجع سابق، ١/٢ ص٢٠٤، أبو نعيم، حلية، ج٣، ص٨٦، ابن حزم؛ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: ملخَّص إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتقليد والتعليل. بتحقيق: سعيد الأفغاني (دمشق: ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) ص٦٩.

(٢) أبو نعيم، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص١٣١، أبو نعيم، مرجع سابق، ج٣، ص٨٦. ابن حجر، تهذيب، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٤) السالمي؛ حاشية الجامع الصحيح، ج١، ص٧.

• كونه تلميذًا مقرَّبًا ورفيقًا ملازمًا لابن عباس، الذي شارك في معظم تلك الأحداث في فترة شبابه.

○ سُكناه في البصرة، إحدى كُبريات مراكز الأحداث السياسية.

○ معاصرته للأحداث الواقعة في تلك الحقبة المنتعشة (٢٨ ـ ٩٣هـ).

نتيجةً لذلك؛ اختار جابر لنفسه الطريق الأكثر فعالية لتحقيق هدفه، فحفظ نفسه بعيدًا عن النشاطات السياسية، واتخذ مسارًا حذرًا جدًّا في علاقاته مع الحكَّام الأمويين، ومن جانبٍ آخر، كرَّس وقته لتعليم الناس أمور دينهم، وتوضيح الأحكام الشرعية في القضايا الدينية.

وفيما يتعلق بطريقة حياته؛ عاش جابر عيشةَ زهدٍ وورع وتقشُّف، قال مرةً عن نفسه: «سألتُ ربي عن ثلاثٍ فأعطاينهن: سألتُ زوجةً مؤمنةً، وراحلةً صالحة، ورزقًا حلالا كفافًا يومًا بيوم»[١]. وكان يخاطب أصحابه متحدثًا عن ثروته، فيقول: «ليس منكم رجلٌ أغنى مني، ليس عندي درهمٌ، ولا عليَّ دَيْنٌ!»[٢].

ويحكي الحجاجُ بن عُيَيْنَة فيقول: «كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا، فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خَلقان فقال: مضى من عمري ستون سنة، ونعلاي هاتان أحبُّ إليَّ مما مضى، إلا يك خيرًا قدمتُه»[٣]. ويقول محمد بن سيرين: «رحم اللهُ جابرًا، كان مُسْلِمًا عند الدراهم»[٤] يعني أنه كان ورعًا. مِن خلال هذه النصوص نجد أن البساطة والزهد والورع هي الصفات الرئيسة في حياة جابر.

---

(١) روايات إباضية (مخطوطة، ملحقة بكتاب نكاح الشغار) ص٢١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن سعد؛ الطبقات، ج٧، ص١٨٠، أبو نعيم؛ حلية، ج٣، ص٨٨.

(٤) ابن سعد؛ الطبقات، ج٧، ص١٨٧، أبو نعيم، حلية، ج٣، ص٨٨.

إن معرفة جابر الواسعة بتفسير القرآن والسُّنة الشريفة جعلت منه شخصية بارزة في هذا المجال من العِلْم، فروايته لأحاديث الرسول ﷺ مقبولة باتفاقٍ عند المحدثين، وقد نعته غيرُ واحدٍ من أهل الحديث بالثقة[١]، باستثناء الأصيلي الذي عدَّه راويًا ضعيفًا، وتعقَّبه ابنُ حجر العسقلاني فَرَدَّ قوله هذا[٢].

وإلى جانب طلابه المنتظمين الذين يتلقَّون منه الأحاديث والفتاوى، اعتاد الناسُ أن يقصدوا مجالسه لطلب الحكم الشرعي في مسائل الدين، بل كانت ترد إليه الأسئلة مِن قبل أصحابه مِن خارج البصرة، وقد وُصِفَ جابر بأنه أعلمُ أهل عصره بالفُتيا[٣].

هذا، وقد كان كثير من تلامذة الإمام جابر يُدَوِّنون ما يسمعون من فتاواه ويقيّدونه، لكن جابرًا لم يكن يعجبه ذلك، وعندما سمع أن طلابه يدوّنون عنه ما يسمعون منه قال: «إنا لله! يكتبون ما عسى أن أرجع عنه غدًا!؟»[٤].

ومع ذلك كله وصلنا قدرٌ كبيرٌ من آراء الإمام جابر ورواياته بواسطة تلامذته، ونُقلت تلك المعرفة إلى الأجيال اللاحقة مِن خلال طريقين:

• الأولى ـ وهي الأساس ـ: ما رواه تلامذته الإباضية، مثل: ضمام بن السائب، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وأبي نوح صالح الدهان، وحيّان الأعرج، وآخرين.

• الثانية: ما نقله تلامذته من غير الإباضية، ومِن بينهم: عمرو بن دينار، وعمرو بن هَرِم، وقتادة بن دِعامة السدوسي، وأيوب السختياني، وآخرون[٥].

---

(١) ابن حجر، تهذيب، ج٢، ص٣٨.

(٢) المصدر نفسه ج٢، ص٣٩.

(٣) الذهبي؛ تذكرة، ج١، ص٦٢، أبو نعيم، حلية، ج٣، ص٨٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات ج٧، ص١٧١، ابن حزم، ملخص، ص٦٤.

(٥) أبو نعيم؛ حلية، ج٣، ص٩٠، الذهبي، تذكرة، ج١، ص٦٢.

ومما وصلنا من مدوناتٍ تضم فتاوى وروايات عن الإمام جابر:

١) روايات ضُمام؛ نُقلت من طريق أبي صفرة عبد الملك بن صفرة، عن الربيع بن حبيب، عن ضُمام، عن جابر بن زيد[١].

٢) مسند الربيع بن حبيب؛ الذي يتضمَّن في غالبه أحاديث رواها الربيع بن حبيب الفراهيدي، عن أبي عبيدة وضمام، عن جابر بن زيد.

٣) جوابات جابر؛ التي حوت بعض فتاواه؛ مبثوثة في رسائل إلى بعض أصحابه وأتباعه.

وجميع هذه الآثار منقول متداول عند الإباضية. وثمة آثار أخرى، نذكر منها:

١) كتاب النكاح؛ الذي يحوي فتاوى عن الإمام جابر في النكاح.

وحتى الآن لم يظهر لي من روى هذا الكتاب عنه، غير أنّ وجوده ضمن مخطوطة كتاب نكاح الشغار لعبدالله بن عبد العزيز يوحي بأن راويه هو نفسه راوي كتاب نكاح الشغار[٢].

٢) كتاب الصلاة. روي من طريق حبيب بن أبي حبيب الحرمي[٣]، عن عمرو بن هرم، عن جابر بن زيد[٤].

٣) روايات عمرو بن دينار، وعمرو بن هرم، ضُمنت القسمين الخامس والسادس من كتاب (أقوال قتادة)، وتحوي أحاديث وفتاوى أكثرها في

---

(١) راجع: مقالنا: وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثاً بشمال إفريقية (منشور بمجلة الدراسات السَّاميَّة ـ مجلد ١٥/ العدد الأول: ١٩٧٠م) ص ٦٧.

(٢) راجع: مقالنا وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثا. مرجع سابق، ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٣) لترجمة حبيب بن أبي حبيب، راجعْ ابن حجر، تهذيب، ج ٢، ص ١٨٠.

(٤) راجع: مقالنا (وصف مخطوطاتَ إباضية مكتشفة حديثاً). مرجع سابق. ص ٦٧.

موضوعات النكاح والزكاة والصلاة، بجانب فتاوى أخرى للإمام جابر وأحاديث رواها قتادةُ عنه.

وفي بعض المصادر إشارة إلى أنَّ كُتُبَ جابر كانت في حيازة أبي عبيدة مسلم بن ابي كريمة، ثم انتقلت إلى الربيع بن حبيب، ثم إلى أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ثم إلى ابنه محمد بن محبوب، ثم أُخِذَ عنهم بمكة[١].

ويذكر بعض المؤرخين الإباضيين أنّ جابرًا نفسه كتب كتابًا ضخمًا في الأحاديث والفتاوى عُرف بـ: (ديوان جابر بن زيد)، وأنَّ نسخة من الديوان كانت موجودة في خزانة الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٩م). كما ترد الإشارة أيضًا إلى أن العالِم الإباضي في جبل نفوسة: «نفاث (فرج) بن نصر» نجح في استنساخ الديوان وإحضاره إلى جبل نفوسة، لكن بسبب معارضته لحاكم الجبل والإمامة الرستمية آنذاك قام بإتلاف نسخة الديوان حتى لا يجد معارضوه سبيلاً للوصول إليها[٢]. ومع ذلك نجد أنَّ الفقه الإباضي قد اعتمد غالبًا ـ في طور تأسيسه ـ على الأحاديث النبوية التي رواها الإمام جابر، ثم على الفتاوى التي أفتى بها ونقلها عنه تلامذته الإباضية. يقول الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: «كلُّ صاحبِ حديثٍ ليس له إمامٌ في الفقه فهو ضال، فلولا أنَّ الله تعالى منَّ علينا بجابر بن زيد لضللْنا»[٣].

---

(١) الوسياني؛ أبو الربيع سليمان بن عبد السلام: السير (مخطوطة محفوظ الباروني ـ جربة) ص١٢٠.

(٢) أبو زكريا؛ يحيي بن أبي بكر: السيرة وأخبار الأئمة (مخطوطة دار الكتب ـ القاهرة/ مصر) ص٣١أ ـ ٣٢أ، الدرجيني؛ أبو العبّاس أحمد بن سعيد: طبقات المشايخ (صورة من مخطوطة أُرسلت إلي بواسطة الشيخ أبي اليقظان ـ القرارة/ ميزاب) ص٨٢ ـ ٤٢.

(٣) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: مسائل أبي عبيدة (مخطوطة في حيازة الشيخ يوسف العطفاوي ـ ميزاب) ص٣٧، الجيطالي؛ أبو طاهر إسماعيل بن موسى: شرح القصيدة النونية (مخطوطة البارونية ـ جربة) ج١، ص٤٧.

أما عن علاقة جابر بن زيد بالإباضية فقد حاول بعض العلماء مِن غير الإباضية إثباتَ أنَّ جابرًا لا صلة له بهم، واستشهدوا بروايات متعددة ظاهرُها أنَّ جابرًا نفسه نفى هذا النوع من العلاقة[١]. فقد روى قتادة وداود بن أبي هند عن عزرة أنه قال: «قلت لجابر بن زيد: إن الإباضية يزعمون أنك منهم، قال: أبرأُ إلى الله منهم»[٢]. وذكروا أيضًا أنَّ هِندًا بنت المهلب قالت: «كان جابر بن زيد أشدَّ الناس انقطاعًا إليَّ وإلى أميّ، فما أعلمُ شيئًا كان يقربني إلى الله إلا أمرني به، ولا شيئًا يباعدني عن الله ﷻ إلا نهاني عنه، وما دعاني إلى الإباضية قطُّ ولا أمرني بها»[٣].

إنَّ الفحص الدقيق للروايات السابقة يقودنا إلى تصنيفها في ثلاث مجموعاتٍ:

١ ـ روايات عن جابر، فيها أنه نفى أيَّ نوعٍ من العلاقة مع الإباضية. وهذه نجدها مروية في المصادر غير الإباضية فقط، من طريق ثابت البناني وعزرة، وكلاهما يدّعي أنَّ جابرًا أحدث هذا الإنكار بينما كان على فراش الموت. وتجدر الإشارة إلى أن زيارة ثابتٍ البناني للإمام جابر مع الحَسَن البصري مما تناقله الإباضية أيضا في مصادرهم، والقصة عندهم تقول أنَّ جابرًا لما حضرته الوفاة رغب في رؤية الحسن البصري، الذي كان في ذلك الوقت متخفيًا عن الحجّاج، فانطلق ثابت البناني وأَعْلَمَ الحَسَنَ برغبة جابر، فقدم كلاهما سِرًّا إلى بيت جابر، ولما دخلا عليه قال له الحسن: «يا أبا الشعثاء؛ قل لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». فقال جابر: «يا أبا سعيد؛ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ثم

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج ٧، ص ١٨١ ـ ١٨٢، أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٨١.

(٣) أبو نعيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٩.

أضاف: «أنا من أهلها، ولكن نعوذ بـالله من غدوٍّ أو رواحٍ إلـى النار». فقال الحسنُ لَمَّا سمع ذلك: «هذا ـ واللهِ ـ الفقيهُ العالِم»[١].

وعامة المصادر التـي ذكرت القصة تتفق في روايتها إلـى هذا الحدّ، أمّا ما ذُكر بعد ذلك مِن أنَّ الحسنَ سـألَ جابرًا عن رأيه في أهل النهرِ ورأيه في الإباضية؛ فهو منقولٌ بواسطة ابن سـعدٍ فقط من طريق عزرة وثابت البناني. وهذه الزيادة لا يمكن أن يُوثق بها لعدة أسبابٍ:

أ) أغلب المصادر ـ إباضية وغير إباضية ـ أوردَتْ القصة دون الإشـارة إلى أنَّ جابرًا تكلم عن موقفه تجاه الإباضية أو أهل النهر، والبغطوريُّ ـ بعد أن ذكر محادثة جابر مع الحسن كما قدَّمْنا ذكرها أعلاه ـ أكَّدَ أن جابرًا لم يزد كلمةً أخرى على ذلك.

ب) إنْ كان جابرٌ حقًّا يعتقد تلك الآراء ـ خاصَّةً فيما يتعلق بهذه القضايا المهمة ـ فإن ذلك يسـتدعي بداهةً أن يكون هذا الرأي معروفًا عنه قبل وفاته بزمن معقول.

ج) ذلك الوقتُ عادةً ـ أعني وقت الاحتضار ـ لا يبدو مناسبًا لسؤال جابر مثل تلك الأسئلة.

٢ ـ الصنف الثاني من الروايات يتضمن أقوالا لعلماء من أهل السنة ينفون فيها أيَّ علاقة لجابر بالإباضيـة[٢]. وتبدو هذه الأقـوال لأول وهلة مفتعلة، لتسويغ قبول رواية الإمام جابر، باعتباره بعيدا عن (الاتهام) بكونه إباضيا، إذ من المقرر عند أهل الجرح والتعديـل أن كَوْن الرواي شـيعيًّا أو خارجيًّا أو إباضيًّا يُعدُّ سببًا كافيًا لتضعيف روايته[٣].

---

(١) روايات إباضية؛ مخطوطة، ملحقة بكتاب نكاح الشغار، ص٢٠، البغطوري، سير، مخطوط، ص٤، الدرجيني، طبقات، ص١٩٩.

(٢) ابن سعد؛ طبقات، ج٧، ص١٨١.

(٣) القاسمي؛ محمد جمال الدين: قواعد التحديث، ص١٩٢ ـ ١٩٥.

٣ ـ الصنف الثالث من الروايات يدخل فيها الخبر المروي عن هند بنت المهلب أنَّ جابرًا لم يَدْعُها أبدًا إلى الإباضية[١]. وهذا مستساغ نوعا ما، لأنَّ جابرًا كان يعلمها الإسلام بتعاليمه الصافية الخالية من أي دعوة للمذهبية، أما المصطلحات المميّزة للانتماءات المذهبية مثل (الإباضيين) و(الإباضية) فلم تكن مستعملة بين الإباضيين المتقَدمين حتى بعد وفاة جابر، إنما كانوا يستخدمون مصطلح (المسلمين) و(جماعة المسلمين).

وفي المقابل؛ ينقل ابن حجر العسقلاني عن الضعفاء للسَّاجي أنَّ جابر بن زيد كان إباضيًّا[٢]. وتحدَّث أبو الحسن الأشعري في مقالاته عن معتقدات الخوارج، وحَشَرَ الإباضيَّة في زمرتهم، ثم قال: «ويدّعون من السلف جابرَ بن زيد»[٣]. والرأيُ نفسه ذكره ابن أبي الحديد[٤].

والسؤال هنا هو: هل كانت هناك حركة إباضية بهذا الاسم في عهد جابر؟ وما الدور الذي قام به جابر في هذه الحركة؟

للإجابة على هذه التساؤلات يلزمنا التذكير بحالة المجتمع المسلم حينذاك، إذ كان منقسمًا إلى مجموعات ثلاث:

أ) الأمويون، الذين كانت السلطة بأيديهم، ومعهم مؤيدوهم.

ب) الشيعة، أو جماعة علي بن أبي طالب.

ج) المجموعة الثالثة يمكن تقسيمها إلى فريقين:

---

(١) أبو نعيم، حلية، ج ٣، ص ٩٨.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٩.

(٣) الأشعري؛ علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين. بتحقيق: هِلموت ريتر (اسطمبول ١٩٢٩م) ج ١.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٧٦.

١ ـ فريق اعتزل الحياة السياسية.

٢ ـ فريق رفض تأييد الأمويين والشيعة معًا، وهؤلاء فعلوا ذلك استبراءً لدينهم، وأرادوا حكم أنفسهم بأنفسهم. وأعني بهم: الناجين بعد موقعة النهروان، وبقية المُحَكِّمة الذين رفضوا قتال علي، لكنهم أصبحوا خصمًا قويًا لحكم الأمويين.

ومن بين الشخصيات القيادية التي بقيت على قيد الحياة بعد معركة النهروان: أبو بلال بن حدير. وتقرر المصادر الإباضية أن أبا بلالٍ كان صديقًا حميمًا لجابر بن زيد[١]. ووفقًا لما يذكره بعض علماء الإباضية؛ كانت ثورة أبي بلال ضد الأمويين بموافقة جابر[٢]، بينما يذكر آخرون أن الثورة كانت فكرة أبي بلال وهو الذي دعا جابرًا للانضمام إليه[٣]. وبناءً على ما سبق؛ يمكن القول أن المحكمة ـ بعد وفاة إمامهم عبد الله بن وهب الراسبي ـ وجدوا في جابرٍ الشخصيَّة المؤهلة لقيادتهم، لأنه أزدي من نفس قبيلة عبد الله بن وهب، ولِمَا يملكه من دراية واسعة بالقرآن والسنة.

وأرى أنّ جابرًا في ذلك الوقت لم يكن أكثر من مرشد ديني لأتباعه الذين يقصدونه لينهلوا من علمه ويزدادوا تفقُّهًا في دينهم، أما قيادته السياسية لجبهةٍ معارضةٍ فلم يكن مقدراً لها أن تكون ذات جدوى وتأثير في تلك المرحلة المبكرة، بسبب أن تلك الفرقة لم يكن بإمكانها تنظيم نفسها في حركة دينية

---

(١) الشماخي، سير، ص٦٧.

(٢) جميل بن خميس، قاموس الشريعة، مخطوط، مجلد ٨٨. القطب؛ محمد بن يوسف اطفيش: رسالة شافية في بعض التواريخ (طبعة حجرية: الجزائر ١٢٩٩هـ) ص٤٣، الرقيشي؛ أحمد بن عبد الله: مصباح الظلام على الدعائم (القطعة الخامسة؛ تتضمن شرحاً على اللاميَّة لابن النضر. مخطوطة دار الكتب/ القاهرة) ص٣٨.

(٣) البغطوري؛ سير، مخطوط، ص٣.

سياسية بارزة، ثم إن الأمويين لم يكونوا ليسمحوا لأي قيادةٍ أن تُظهر نفسها، لأنها ستكون في نظرهم طرفا مناوئا لهم يُنازعهم السلطة.

وثمةَ سببٌ آخر، هو تأثير مفهوم القيادة القرشية، حيث كان واضحًا أن المجتمع المسلم أغلبه ما كان ليرضى بأي قيادة على مستوى الخلافة إلا إذا كانت من قريش، ولعل هذا السبب هو الذي جعل القياديين البارزين لهذه الفرقة ينضمّون إلى عبد الله بن الزبير ويناصرونه ضد الأمويين على أمل أن يقبل آراءهم وتوجهاتهم. وكان من بين هؤلاء القادة عبد الله بن إباض[1].

من جانبٍ آخر؛ كانت ثورة نافع بن الأزرق ـ قائد الحركة الخارجية المتطرفة المنسوبة لاسمه (الأزارقة) ـ حدثًا جديدًا غيَّر اتجاه سير جماعة المحكمة، وطبيعة علاقة جابر بها. فقد كان جابر معارضًا بشدة لسياسة نافعٍ وأتباعه، ورَفَض رأيهم القائل بتشريك مخالفيهم من المسلمين، واستحلال قتلهم وسلبهم وسبي نسائهم وأطفالهم.

وقد حفظت المصادر الإباضية مناظرة دارت بين جابر والخوارج، رواها عنه تلميذه ضمام، الذي يقول: «كان جابر يأتي الخوارج فيقول لهم: أليس قد حرَّم الله دماء المسلمين بدين؟ فيقولون: نعم. فيقول: وحرّم الله البراءة منهم بدين؟ فيقولون: نعم. فيقول: أوليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين؟ فيقولون: بلى. فيقول: وحرَّم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها دين؟ فيقولون: نعم. فيقول: هل أحلَّ الله ما بعد هذا بدينٍ؟ فيسكتون»[2].

هنا يمكن القول أن انقسامًا خطيرًا بدأ في هذه المرحلة داخل جماعة المحكمة بسبب حركة نافع بن الأزرق، الذي حكم بتشريك خصومه من

---

(١) الطبري؛ تاريخ. ج ٥، ص ٥٦٣ فما بعدها.

(٢) أبو صفرة عبد الملك بن صفرة: روايات ضمام (مخطوطة البارونية ـ جربة) ص ٨.

المسلمين، وأوجب الخروج عليهم. إذ كان هذا مخالفا لسيرة جماعة المحكمة الأوائل وأهلِ النهروان ومن سـار على هديهم من بَعْدُ كأبي بلالٍ وأصحابه. فكان لزاما على القادة البارزين لهذه الجماعة ـ مثل جابر بن زيد ـ أن يرفضوا سياسة نافعٍ وأتباعه ممن سلك مسلكه، ويعلنوا ذلك واضحًا أمام الملأ قاطبة من أجل كسب تعاطفهم.

وقد كان عبدالله بن إباض من بين القادة الذين اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج مع نافع والانضمام إليه، فلما جَنَّ الليل سـمع عبدُ الله دوِيَّ القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبّحين، فغيَّر رأيه وقرَّر عدم الخروج[١]، و«اعتقد شرعيَّة العيش بين المسلمين ومخالطتهم»[٢]، وأعلن انفصاله عن ابن الأزرق. ولا يبعد أن يكون موقفه هذا بإشـارة من الإمام جابر بن زيد، غير أنا لا بد أن نعترف بالدور الناجح الذي قام به عبدالله بن إباض في هذه المرحلة، وهو ما أدى إلى أن تحمل الحركة كلها بعد ذلك اسمه، وتُعرف بين المسلمين الاخَرين بـ(الإباضية)[٣].

ثمة حوادث كثيـرة، ووقائع متعددة، تؤكد أنَّ جابـرًا كان ذا علاقةٍ وثيقة وفعَّالة بالحركة الإباضية في مرحلة مبكرة جدًّا:

• فقد وَرَدَ أنَّ جابرًا كان يذهب إلى موسم الحج بمكة في صحبة أحد أفراد «جماعة المسلمين» يسمَّى أبا فَقاس الأسود بن قيس، وقد اعتاد كلاهما أن يلاقيا ابن عباسٍ، فلاقاه جابر مرة ولم يكن معه أبو فقاس، فسأله عن صاحبه، فأخبره أنه سُجِن مِن قبل ابن زياد، فسأل ابن عباس جابرًا: وهل أبو فقاس مُتَّهم؟ أجاب جابر: نعم. ثم سأله ابن عباس: أو ما أنتَ متهم؟ قال جابر: اللهم بلى[٤].

---

(١) الوارجلاني؛ الدليل، ص٩٩ ب.

(٢) نيكولسون: التاريخ الأدبي للعرب (كمبردج ١٩٦٢م) ص٢١١.

(٣) الدرجيني؛ طبقات، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، الشماخي؛ سير، ص٩٦.

(٤) الدرجيني؛ طبقات، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤، الشماخي؛ سير، ص٩٦.

• ويذكر الشماخي أن شـــيخًا كبيرًا من جماعة المسلمين، يُسمَّى أبا سفيان قنبرًا أُخِذَ وجُلِدَ مئة ســـوط على أن يدلّ على أحدٍ من المسلمين فلم يفعل. قال جابر بن زيد: وكنتُ قريبًا منه، وما كنتُ أنتظر إلا أن يقول هذا هو، فعصمه الله[1].

• الحادثة الأخرى التي تُظهر أن جابرًا كان ذا صلة مؤثرة بالحركة الإباضية هي أَمْرُه لأحد شُبّان الإباضية بقتل خردلة، وخردلة هذا كان من أهل الدعوة ثم خرج عنها وتركها، فجعل يطعن على المســـلمين، وأفشى بعض أسمائهم مما أدّى إلى قتلهم على أيدي الطغاة[2]. هذه القضية استُشْـــهد بها فيما بعد ـ في مصنفات الفقه الإباضي ـ كدليلٍ على وجوب قتل الطاعن في الدين.

وعلى أي حال؛ يظل جابر بن زيد الشـــخصيَّةَ المميزة للفرقة التي عُرفت فيما بعد بـ(الإباضية) أو (أهل الدعوة) أو (جماعة المسلمين)، وظهر أثره فيها واضحا بعد ثورة نافع وغيره من الخوارج، وأصبح جابر رئيسًـــا أو إمامًا لهذه الحركة.

يمكننا الآن أن نتابع دراسةَ سياسةِ جابر باعتباره قائدا للحركة الإباضية. وفي هذه السياسة أربعة خطوطٍ رئيسةٍ يمكن تمييزُها:

أولاً: تحاشي أيّ اصطدام مكشـــوفٍ مع الحكّام، والمحافظة على علاقةٍ ودّيّة معهم.

ثانياً: عدم عزل أعضاء الحركة عن المجتمع المسلم.

ثالثاً: مواصلة تعليم الناس وتفقيههم، بغض النظر عما إذا كانوا من أعضاء الحركة أولا.

---

(١) الشماخي؛ سير، ص ٩٣.

(٢) الجيطالي؛ أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قواعد الإسلام (طبعة حجرية: القاهرة ١٢٩٧هـ. مع حاشية أبي ستة) ص ٢٨.

رابعًا: بما أنَّ جابرًا كان عازمًا علـــى المحافظة على أمن الحركة بتنفيذ قسمٍ من أنشطتها سرًّا، وبالإبقاء على أعضاء التنظيم غير معروفين مِن قبل الحكَّام؛ فقد اتخذ موقفًا حازمًا ضد أولئك الذين يكشفون أسماء الأعضاء للطغاة[١].

والإباضية يَعُدُّون جابرًا الإمام الأول لمدرستهم، ويعتبرون فترة قيادة جابر مثالاً على حالة الكتمان[٢].

ليس بين أيدينا ســوى القليل عن نشاطات جابر خلال ولاية زياد بن ابي ســفيان وابنه عبيد الله بن زياد، على الرغــم من أن الحركة فــي تلك الفترة واجهت القمع الشديد، وقُتِل أصدقاء مقربون لجابر كأبي بلال وأخيه عروة، وسُجن آخرون مثل أبي فقاس وقنبر، وليست هنالك معلومات توضح أنَّ جابرًا تعرض لشيءٍ من ذلك، بل تذكر المصادر الإباضية عنه قوله: «لَمْ نَجد في ذلك الزمان ـ يعني زمان عبيد الله ـ أشــياءَ أنفع لَنا من الرِّشاء»[٣]. وهذا يصور لنا الحال التي كان عليها الإمام جابر وأتباعه من الخوف على أنفسهم، باستعمال الرشوة اتقاء لبطش الطغاة.

أما في عهد ولاية الحجاج، فقد حافظ جابر على علاقة جيدة معه بواسطة وزيره يزيد بن مسلم، الذي كان صديقًا حميمًا لجابر[٤].

واســتطاع جابر أن يقيم علاقة متينة مع آل المهلب، ذوي النفوذ الواسع، وكانت تربطهم بالإمام جابر علاقةُ نســبٍ وقرابة، بل ما هــو أكثر أهميةً من

---

(١) كما فعل في قضية خردلة مثلا.

(٢) عمرو بن جميع؛ عقيدة التوحيد، ص٥٤، الجناوني؛ أبو زكريا يحيي بن الخير: عقيدة التوحيد (طبعة حجرية: الجزائر ١٣٢٥هـ) ص٢٠.

(٣) أقوال قتادة، مخطوط، ص١٨٩.

(٤) الشماخي، سير، ص٧٤.

القرابة، إذ كان جابر معلمًا وموجهًا لبعض أفراد هذه العائلة، فقد كان يزورهم ويعلمهم أمور دينهم و«يأمرهم بما يقربهم إلى الله»[١].

ومن بين مراسلات جابر الباقية؛ هناك ثلاث رسائل أرسلها جوابًا على رسائل وردته من بعض أفراد عائلة المهالبة، اثنتان أُرسلتا إلى عبد الملك بن المهلب، والأخرى إلى خيرة بنت ضمرة القشيرية، زوجة المهلب.

وفي مراسلاته الأخرى؛ نلحظ أن له اتصالات متعددة بأناسٍ ذوي مناصب رسمية في أماكن مختلفة، كالنعمان بن سلمة، الذي أرسل رسالة لجابر يسأله مشورته في جمع المقدار المطلوب من الجزية وخراج الأرض، دون الإساءة لأحد السكان، أو فِعْل ما يخالف تعاليم الإسلام. والرسالة المرسلة مِن قِبَل جابر للنُّعمان في هذه القضية تتضمن معلومات قيّمة عن الأساليب المتَّبعة في جمع الضرائب، ويُريه كيف أنَّ ثلاثمئة درهم لا يصل منها إلى بيت المال سوى مئة درهم، أما الباقي فيأخذه الدَّهَاقِينُ وجامعو الخراج[٢].

ومن أصحاب جابر أيضًا: يزيد بن يسار؛ الذي أرسل رسالة لجابر يخبره أنه عُيِّن مسؤولاً في إحدى الوظائف في عُمان، ويسأله رأيه في مسائل معينة[٣]. وممن كان يراسل جابرا من أهل عمان: مالك ابن أَسِيد أو أُسَيْد؛ الذي أرسل رسالة لجابر يعرض عليه أن يشتري له ناقة من إبل عُمان، وقد وافق جابر، كما بيَّن ذلك في جوابه إلى مالك بن أسيد[٤].

---

(١) أبو نعيم؛ حلية، ج ٣، ص ٨٩.

(٢) جابر بن زيد: جوابات جابر بن زيد (نسختي المرقونة؛ المأخوذة من مخطوطة البارونية ـ جربة) ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه. ص ٢٢.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٦.

وإلى جانب الفتاوى التي كان يجيب بها الإمام جابر أصحابه من جهات شتى؛ كان يطلب منهم أن يحيطوه علما بالأوضاع في بلدانهم، ويكتبوا له عن أي شيءٍ يستجدّ فيها[١].

هذه الاتصالات الواسعة مع الأشخاص والعائلات ذات النفوذ ـ زيادة على التوقير والاحترام الذي يحظى به جابر لدى العامّة ـ جعلت الحجَّاجَ بن يوسف حذرًا منه، وقد حاول أن يستميل جابرًا إلى طرفه ويعرض عليه القضاء، لكن جابرًا رفض هذا العرض[٢].

والمصادر الإباضية تقرر أنَّ جابرًا ـ في مناسباتٍ متعددة ـ أبدى معارضته للحجاج، فقد وَرَدَ أنه امتنع عن مناولة الحجاج قلمًا من يده، مستدلا عليه بحديث الرسول ﷺ: «لعن الله الظالمين وأعوانهم وأعوان أعوانهم ولو بمدة قلم»[٣]. كما عارض الحجاجَ في مسألة المسح على الخُفَّيْن في الوضوء، وقال: «كيف أمسح على الخفين والله يخاطبنا بنفس العضو؟»[٤].

وجابر نفسُه كان محترسًا حذرًا في اتصالاته بأصدقائه وأتباعه، وهذا ما نلمسه في مراسلاته، حيث طَلَب في خمسٍ من رسائله أن تُتلف وتُمْحى فلا يبقى لها أثر، وذكر السبب وراء ذلك في ثلاثٍ منها:

أ) في رسالته إلى الحارث بن عمرو، أحد أقدم أتباعه في الكوفة[٥]، كَتَب قائلا: «واعلم ـ أصلحك الله ـ أنك بأرضٍ أكره أن تذكر لي فيها اسمًا، فلا ترو

(١) المصدر نفسه. ص٢٤.

(٢) الشماخي، سير، ص٧٤.

(٣) الوارجلاني؛ الدليل، ص١٠٨ أ.

(٤) ابن خلفون، أجوبة، (نسخة مخطوطة) ص٣٩. وانظر أيضا: الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح (الطبعة الثالثة: القدس ١٣٨١هـ) ج٤، ص١٥ ـ ١٦.

(٥) ابن حبان؛ مشاهير علماء الأمصار، ص١٠٥.

شـــيئًا مما كتبتُ به إليك»[١]. ولعل ذلك كان خلال ولاية زياد، لأن الحارث توفي أثناء خلافة يزيد بن معاوية.

ب) في رسالته إلى عبد الملك بن المهلب؛ كتب يخاطبه: «اكتب إليَّ بما كانت لك من حاجة في سر وثقة، فإنك قد علمتَ الذي نحن فيه، وما نتخوف مِن الذي يطلب العلل علينا، فلا تعرض لذلك لأمرٍ تهلكنا به، أصلحك الله»[٢].

في رسالة أخرى؛ وَصَف جابر شؤون الأمراء، فقال: «فإنَّ أمر الأمراء ما قد علمتَ، ونحن لهم هائبون، يلتمسون علينا العلل»[٣]. كلُّ هذه العبارات تُظهر أنَّ جابرًا كان دائم الخوف من الأمراء، حَذِرًا في نشاطاته وتحركاته.

وفي إحدى رسائله إلى عبد الملك بن المهلب، يُعَبِّر عن شكره لله على نجاة عبد الملك وحمايته، ويحمد الله تعالى على بقائه وعافيته، «حتّى يريكم وإيّانا في أمركم وأمرنا ما تقرّ به أعيننا ويكبت به عدوّنا»[٤]. ومن المرجَّح أن جابرًا يُشير في عبارته الأخيرة إلى الحجاج الذي ثار على المهالبة وأمر باعتقالهم وحبسهم.

ولعل علاقة جابر بالمهالبة كانت سَـــبَبًا وراء نَفْـــي الحجَّاج له ولصاحبِه هبيرةَ إلى عُمان[٥]، حتى لا يكون مصْدَرَ عونٍ لآل المهلب. وفي الفترة ذاتِها اعتقل الحجاج ثلاثةً من قواد الحركة الإباضية، هُم: أبو عبيدة، وضمام، وأبو سلمة، وأمَرَ بســـجنهم[٦]. وكان هذا أوَّلَ إجراءِ قمعٍ خطيرٍ يواجه قادة الحركة الإباضية ـ بما فيهم جابر نفسه ـ تحت حكم الحجاج.

---

(١) جابر بن زيد، جوابات، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٧.

(٥) الشماخي؛ سير، ص ٨١.

(٦) المصدر نفسه؛ ص ٩٦، الدرجيني، طبقات، ص ٢٢٤.

ويبدو أنَّ السَّبَبَ الرئيس الذي جعل الحجَّاجَ يغيِّر سياسته تجاه الإباضية هو اصطدامه مع المهالبة، ولعلَّ ما يمكن قوله هنا أن العلاقة القوية بين جابر والمهالبة دفعت الحجّاج إلى الظن أن جابرًا يُدَبّر فعلا ضدَّه لكي يساعد المهالبة، وإلا فليس هناك مبّررٌ آخر يمكن أنْ يُسْتَوْحى لتفسير هذا التغيُّر في سياسة الحجاج تجاه جابر والحركة الإباضية. ومع ذلك؛ استطاع المهلبيُّون الهروب من السجن، وفروا إلى سليمان بن عبد الملك في دمشق، فأجارهم[1]. ووفقًا لِمَنْ قال إن جابرًا توفي سنة ٩٣هـ فإن من الممكن أن يكون رجوعه إلى البصرة بسبب الموقف الودود لسليمان والوليد ابني عبد الملك تجاه آل المهلب.

هذه هي الخطوط الرئيسة في سياسةِ جابر ونشاطاتِه العامة.

أما الدور الأكثر أهمية في حياة جابر فيتمثَّل في إسهامه في الفقه الإسلامي وفي تأسيسه المدرسة الإباضية الفقهية.

مِنَ المعلوم أنَّ مِن واجبات المسلم تَعَلُّمَ شيءٍ من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ، لكي يعي ما يلزمه من فروضٍ وواجباتٍ شرعية كالصلاة وغيرها، ولقد أدَّى تطور المجتمع المسلم وتوسُّعه السريع إلى قيام مراكز جديدة استقرت فيها أفواجٌ من الصحابة، وقد كانت مدينة البصرة واحدة من أكبر تلك المراكز، أُسِّست في خلافة عمر بن الخطاب قاعدةً عسكرية، ثم ما لبثت أنْ أصبحت واحدةً من العواصم الفكرية الثقافية في الإسلام.

في هذه المدينة نشأ جابر، وهناك لقي عددًا كبيرًا من الصحابة الذين كان هَمُّهم تعليم الناس أمور دينهم، وكانت ثمرة بذلهم وعطائِهم نُموَّ طبقة جديدة في المجتمع المسلم تتكون من تلامذتهم الذين عُرفوا فيما بعد بـ: (التابعين).

---

(١) الطبري؛ تاريخ، ج٦، ص٤٤٨ ـ ٤٥٢.

لقد كانوا الجيل الثاني الذي ورث تعاليم الإسلام كما وصَلَتْه مِن الصحابة، وأصبحوا المبشّرين بالدين، وعلّموا الناس القرآن الكريم، وأحاديثَ الرسول العظيم ﷺ، وكانوا القدوة الحسنة والمثَلَ الحق للمسلمين في واقع حياتهم.

وكان جابر بن زيد مِن بين التابعين الأوائل الذين وهبوا أنفسهم لهذه المهمَّة، وقد ذكرنا سابقًا أنه أصبح واحدًا من كبار العلماء بالبصرة، وكان ذلك مؤهلاً له ليكون مفتي البصرة فيما بعد. أما قولُ إياس بن معاوية: «لقد رأيتُ البصرة وما بها مفتٍ غير جابر بن زيد»[1]؛ فربما كان هذا لِفترة محدودة، نظرًا إلى أن مصادر أخرى تذكر علماء آخرين اشتركوا مع جابر في حَمْل عِبءِ الفتوى بالبصرة، مِن بينهم: الحسن البصري، وعمرو بن سلمة الحرمي، وأبو مريم الحنفي، وكعب بن سَوْد[2]. أما عمرو بن دينار فقد بلغ تقديره العالي لشيخه جابر أن قال فيه: «ما رأيتُ أحدًا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد»[3].

إنَّ دراسةً موجزةً للمنهج الذي اتبعه جابر في الإفتاء سوف يساعد على فهم طبيعة الفقه الإباضي، وكَوْنُ الإمام محدّثًا مع إلمامه الواسع بفتاوى الصحابة يُحدِّد النقاط الرئيسة في منهجه الفقهي، فهو يَعتبر أنَّ أيَّ فتوى يجب أن تبنى على القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم فتاوى الصحابة، ويأتي بعد ذلك رأيُه الخاص.

ونرى ـ كما هو واضح ـ أنَّ السُّنة هي المصدر الثاني للفتوى بعد القرآن الكريم، ويبيّن جابر ذلك فيقول: «وما كان مِن أمرٍ خولف فيه السُّنة نُقِض»[4]،

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج٧، ص١٣١، ابن سلام؛ بَدء الإسلام، ص٤٢.
(٢) ابن القيِّم: أعلام الموقّعين عن رب العالمين (القاهرة د.ت) ص٩.
(٣) الذهبي؛ تذكرة، ج١، ص٦٢.
(٤) جابر بن زيد؛ جوابات، ص١٩.

ويقول في موضعٍ آخر: «لا يستقيم للناس أمرٌ يخالفون فيه السُّنة»[١]. وجابرٌ باتّباعه هذا المنهج يلتزم بالقاعدة التي وضعها الصحابة الكرام، فشيخُه عبدالله بن عمر حذّره من أن يُفتي إلا بقرآنٍ أو سنةٍ ماضية[٢]، ورُوي عن جابر أيضًا أنه قال: «أدركتُ ناسًا من الصحابة أكثر فتياهم حديث النبي ﷺ»[٣].

ويأتي الرأيُ في المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة، وحول هذا المصدر يرى جابر أنَّ رأيه الخاص ينبغي أن يأتي بعد رأي الصحابة لا قبله، فقد كتَب: «ورأيُ مَنْ قَبْلَنا أفضل من رأينا الّذي نرى، لم يَزَل الآخِرُ يَعْرِفُ للأوّل. وكانوا أحقّ بذلك؛ المهاجرين مع رسول الله ﷺ، والتّابعين لهم بإحسان، فقد شهدوا وعلموا. فالحقّ علينا وطء أقدامهم واتّباع أثرهم»[٤].

وقال أيضا: «فلَعمري ما أنا إلا متعلمٌ متبعُ آثارٍ قد وطّئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلا رواية عسى أن نختلف فيها»[٥]. وفي رسالته إلى عَنِيفة؛ يعبّر عن نفس المبدأ بقوله: «ليس من ذلك شيء، إلا ما يروي الناس عن الناس، وأما مِن رأيٍ عندنا فنحن في ذلك أَنْقَصُ رأيًا»[٦].

وثمة قضية نازلة وردت في مراسلاته تبيّن إلى أي مدى كان يتمسك بهذا المبدأ؛ إنها قضية المرأة إذ طلّقها زوجُها في مرض الموت، فابن عباس يقول إنَّ عليها التربُّص حتى يذهب ضررُ زوجها، لكي تحفظ حقها من الصداق والميراث، أما إنْ تزوجت زوجًا آخر قبل ذلك فإنها تفقد حقها، بينما نرى جابرًا يعلّق على رأي ابن عباس هذا فيقول: «ولولا قول ابن عباس في ذلك

(١) المصدر نفسه. ص ١٤.
(٢) البخاري؛ تاريخ ١/٢ ص ٢٠٤.
(٣) الربيع بن حبيب؛ المسند، ج١، ص ١٣ ـ ١٤.
(٤) جابر بن زيد، جوابات، ص ٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ١٨.

لَسَـرَّني ـ وإن تزوجت ـ إذا عُرِفَ الضرر أن تستوجب الأمر كله ما لم يذهب ميراثها»[١]. ومع ذلك نَزَل جابـر عند رأي ابن عباس، وأخّـر رأيَه هو، وفاءً بالمبدأ المذكور سـابقًا، على الرغم من أنه كان يرى أنه رأيه في هذه القضية بالذات هو الأرجح.

ولذا يمكن القول إن المصادر التي يَستمدُّ منها الفقهُ الإباضي هي: القرآن، والسنة، والرأي، لكن الرأي يُعمل به فقط عند عدم وجود الأثر. وفي ختام هذه الدراسة الموجزة يمكننا أنْ نقرّر أنّ المدرسة الفقهية التي أَرسى دعائمها الإمامُ جابر بن زيد قد تأثرت إلى حدٍّ بعيـد بالحديث. وبقي هذا المنهج متَّبعًا عند تلامذة جابر الإباضيين بعد وفاتـه، فقد بنوا فقههم فـي الغالب على الأثر، ويروى أنّ أبا عبيدة مسـلم بن أبي كريمة ـ خليفة جابر ـ بلغه أن أهل عمان يُفتون بالرأي، فقال: «ما نجوا من الفروج والدماء!»[٢].

نذكر في خاتمة هذا الفصل أن كُتَّاب السِّـيَر الذيـن ترجموا للإمام جابر قَدَّموا خمسة تواريخ مختلفة لوفاته؛ أمَّا أولئِك الذين يرون أنَّ جابرا توفي في الأسبوع نفسِه الذي توفي فيه الصحابي أنس بن مالك فقد ذكروا تاريخين:

- الأول: سنة ٩١هـ/٧٠٩م كما ذكر ابن حبّان[٣].

- الثاني: سنة ٩٣هـ/٧١١م كما أورده كلٌ مِن: الربيع بن حبيب والبخاري وأحمد بن حنبـل والفلّاس والنجّار وأبي نعيم والسـالمي وابـن حبّان[٤]. وهؤلاء جميعاً محدثون، وهم لا شك أكثر عنايةً بوفيات الرواة، وأكثر حرصًا

(١) المصدر نفسه، ص٤٢.

(٢) أبو المؤثر الصلت بن خميس: سيرة (قسم من مخطوطة متعددة المحتويات، مِن عُمان) ص٢٠.

(٣) ابن حبان؛ مشاهير علماء الأمصار، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٨٩، الربيع بن حبيب؛ المسـند، ج٢، ص١٠٣. البخاري؛ تاريخ، ج١/٢ ص٢٠٤. ابن حجر؛ تهذيب، ج٢، ص٣٨ ـ ٣٩. الذهبي؛ تذكرة، ج١، ص٦٣.

على ضبطها، لِمَا لَهَا مِن قيمةٍ كبيرةٍ عندهم فيما يتعلق بصحة السَّند واتصال سلسلة الرواة.

• ونجد المؤرخين مثل ابن سلّام وابن سعد والواقدي والمسعودي والأصمعي وابن مدّاد يذكرون أنه توفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م[١].

• بينما يتفرّد الشماخي وحده بذكر سنة ٩٦هـ/٧١٤م[٢].

• وينقل ابن حجر عن ابن عدي أنّ جابرا توفي سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م[٣].

ولكي نستطيع الوصول إلى تاريخ دقيقٍ لوفاة جابر يجب أن نأخذ الحقائق التالية في الاعتبار:

أ) تُقرر مصادر كثيرة أن جابرًا ـ في ليلة وفاته ـ رغب في رؤية الحسن البصري، الذي كان في ذلك الوقت متخفيًا عن الحجّاج. وعليه؛ لا بد أن وفاة جابر وقعت قبل وفاة الحجّاج سنة ٩٥هـ/٧١٣م.

ب) مصادر كثيرة تقرر أن جابرًا توفي قبل وفاة الصحابي أنس بن مالك؛ الذي قال عندما بلغه نبأُ وفاة جابر: «مات أعلم الناس بالله، يرحم الله جابر بن زيد»[٤]. أما التواريخ المذكورة لوفاة أنس فهي: سنة ٩١هـ وسنة ٩٣هـ.

ج) كان للإباضية اتصالٌ فعّال بعمر بن عبد العزيز أثناء خلافته (٩٩ ـ ١٠١هـ)، وقد تمثَّل ذلك في الوفد الذي أرسلوه إليه، وانفردت المصادر

---

(١) ابن سعد؛ طبقات، ج٧، ص١٣٣، ابن سلاّم؛ بدء الإسلام، ص٤٢. المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب (القاهرة: ١٢٨٣/ ١٨٦٧م) ج٢، ص١٤١. الذهبي؛ تذكرة، ج١، ص٦٣، ابن قتيبة؛ كتاب المعارف، ص٢٠٠.

(٢) الشماخي؛ سير، ص٧٧.

(٣) ابن حجر، تهذيب، ج٢، ص٣٩.

(٤) روايات إباضية؛ مخطوطة، ص٢٠.، الشماخي، سير، ص٧٠.

الإباضية بذكر تعليق الإمام أبي عبيدة على نتائج تلك السّفارة، بينما لا تشير إلى أي تعليقٍ للإمام جابر حول هذه الحادثة، ومِن الصّعب أن نصدّق أنّ جابرًا لم يُدلِ برأيه في ذلك على تقدير كونه حيًّا، وهذه حقيقة توحي أنه توفي قبل سنة ١٠١هـ/٧١٩م، وليس في سنة ١٠٣هـ كما يرى المؤرخون، أو سنة ١٠٤هـ كما نُقِل عن ابن عدي.

وعلى الرغم من صعوبة الجزم بتاريخ محدَّد في حالةٍ مثل هذه؛ تظل سنة ٩٣هـ ـ التي ذكرها المحدّثون، وأكّدتها المصادر الإباضية ـ هي التاريخَ الذي يُمكن اعتبارُه في نظري أقربَ إلى الحقيقة.

* * *

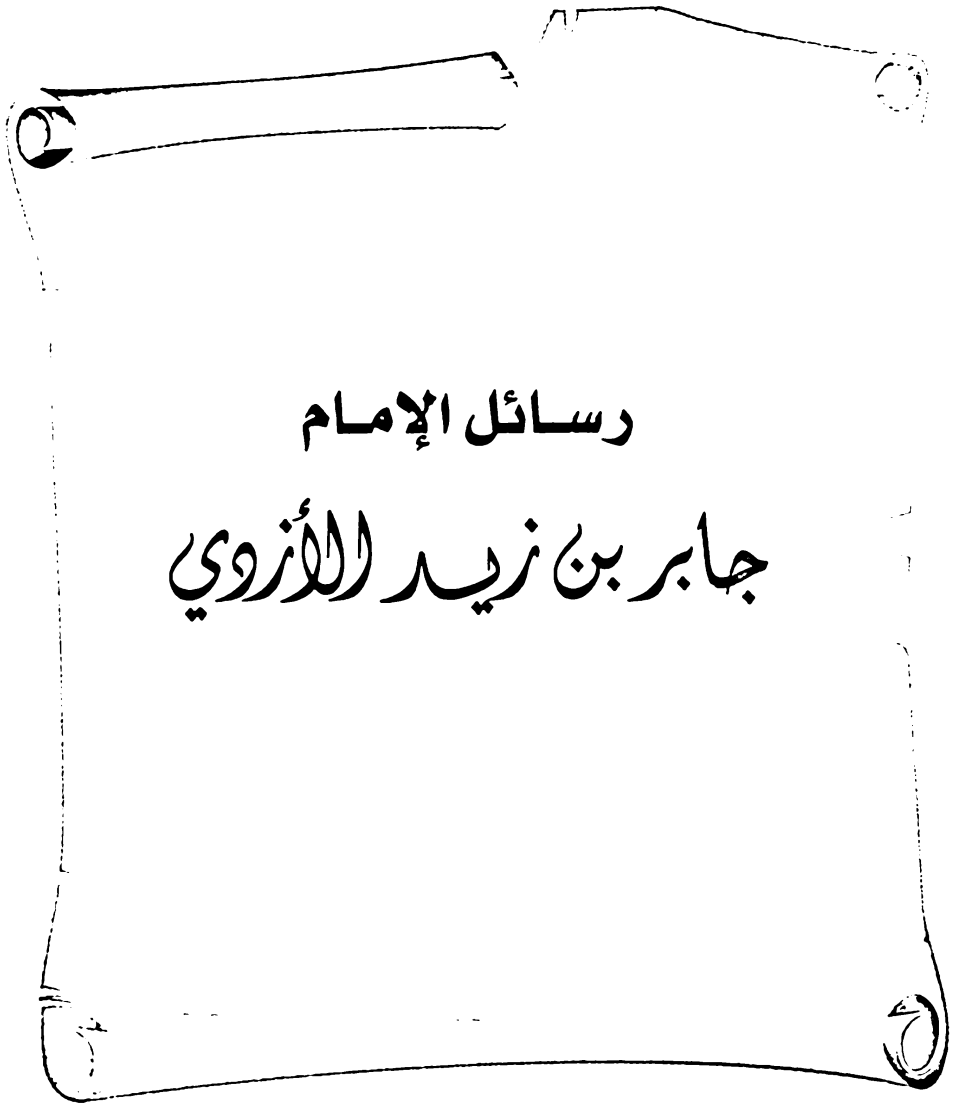

رسائل الإمام
جابر بن زيد الأزدي

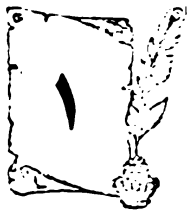

١ الرّسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى راشد[1] بن خيثم

سلامٌ عليك.

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، والحفظ لِمَا استحفظك الله، وأداء الأمانة فيما ائتمنك الله عليه، إنك تَحْمِلُ لله ما لم تُطِقْ سماءٌ ولا أرض ولا جبل؛ شفقةً من أن تُضِيعَ من ذلك شيئًا، فيعذبها الله بما هو أشد خلقا.

واعلم أن الأمانةَ التي عَرَضَ عليهن اللهُ: دينُه وشرائعُه وفرائضُه في الأسماع والأبصار والأفئدة والألسنة والجوارح، والصلاة والزكاة والطهور والركوع والسجود والصلة والجوار، وما سوى ذلك مما أمَرَ به ونَهَى عنه المؤمنين، مُسْتَحْفَظِين عليه، وأُورِثَه بعضُهم من بعض، الآخِرُ تابعٌ فيه الأوَّلَ. مع علم وشُهودٍ لا يُسقطون شيئا ولا ينسونه.

فلا تكن ملبوسًا عليك، ولا تُخْدَعْ بِعَرَضٍ من الدنيا، ولا تتمنَّ أمنيّة المفرطين، واعلم أن أهل الدنيا نزلوا من الله بإحدى منزلتين في الدنيا، وعلى

(١) رسمه في المخطوطة هكذا: ناشد. فلعله: ناشد.

ذلك يوم القيامة، إما كرامة لا كرامة بعدها أفضل منها، وإما هوان لا هوان بعده أشــدّ منه. والمقبوحُ مَنْ قصرت به نِيَّتُــه دُون المؤمنيــن، والهالكُ المرتاب المتربص المفتون من خالف مغيبُه مشهدَه، ومَنْ لم يبلغ علمه منطق لسانه.

فإذا أتاك كتابي هذا فأدْرِكْ أمرك، وأَحْيِ ما مات منه قبل ذلك، فنسأل الله ونُلْحِفُ إليه في المسألة ونتوجه إليه بما دل على نفسه أن يبارك لنا ولك في الذي وهب لنا من تبصيره، وأن يعيننا على الذي لا نطيقه (الادا) [؟] ولا نبلغه إلا بمواهبه.

أما بعد؛ فإنا نخبــرك مِنْ خبرنا أنا بخير من الله، فضلــه[1] عظيم، ونعمته سابغة، وعادته إلينا حسنة في الذي سلف، لا نعيب عليه شيئًا من أمرنا، العيب علينا لا على ربنا. ربٌّ محمــود. وقد أتاني كتابك تذكــر فيه دفاع الله عنك، وعافيته إياك في الذي ابتلاك، فنحمد الله على ذلك، ونسأله لنا ولكم التمام.

• أما الذي ذكرت تســألني عنه من رجل تقبل بنهر يكريه بمئة درهم أو زيادة، وأكرت طائفة وعجــزت عنه طائفة، ثم فرَّ حين خــاف أن يعجز عليه، واستأجر صاحب النهر قوما[2] [.....] والّذي[3] [.....] بدراهم ضخمة، حتّى إذا بلغ الأوّل الفراغ من النّهر قدم فقال: إنّمــا انطلقت إلى أهلي ألتمس أوانًا فسبقتموني بأمركم. فإن له بقدر ما عمل، ولا يصلح ظلمهم.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل استأجر رجلاً بخمسين جريبًا، فقال صاحب النّخل: إنّي أستأجرك بفُومٍ أو بُرٍّ أو ما سوى ذلك من [التّمر على أن أعطيك

---

(١) في المخطوطة: فظله.

(٢) بعد هذا في (ب) بياض يتسع لثلاث كلمات. وفي (أ) تبدأ الورقة الأولى في الرسائل بكلمة: «والذي» ثم بعدها بياض مماثل للذي في (ب)، يتسع لكلمتين، تستأنف بعده المخطوطتان بنفس الكلام.

(٣) هنا تبدأ المخطوطة (أ).

من ثمرة أرضي خمسين جريبًا أو ما سوى ذلك من][1] العدد. وزعمت أنّه قطع أنّ الثّمرة هلكت؛ فإنّ ذلك لا يُذْهِب أجره، وإن اشترط من ثمرها يُعطى أجره وإن لم تخرج الثّمرة الّتي شرط له منها.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل استأجر رجلاً أن يقوم على أرضه ونخله بثمرة عشر نخلات أو عشرين نخلة، أو [ما][2] شاء الله من عددهنّ، وتزعم أنّه أعلم له النّخلات الّتي استأجره عليهنّ[3]، فإنّ ذلك ممّا لا يعجبني، إلاّ بشرط مكيلة معلومة وعدّة.

• وأمّا[4] الّذي ذكرت من رجل اشترى من رجل نخلة فاستوجبها، ثمّ زعمت أنّ الّذي باع النّخل قال: إنّما بعتك النّخل ولم أَبِعْكَ الأرض، فكذبٌ، ليس له ذلك، إنّ النخل لا يصلح إلّا بالأرض، فله ما جرى[5] فيه عروق النّخل.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجل اشترى من رجلٍ أرضًا لا يرى إلا أنّها له، ثمّ عمرها، فجاء ربّ الأرض فقال: أرضي لم أبعها ولم أهبها. فأُخبرك أنّ هاشمًا قضى في مثل ذلك أن تُقَوَّمَ الأرض، فما زادت على ثمنها الأوّل أُخِذَ من بائعها[6] الأوّل الّذي باعها، وقضى للّذي اشتراها على ربّ الأرض ما أنفق فيها وأجر عمالة ما عمل فيها، ولا أراه إلّا نِعْمَ ما قضى.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يحرّك ذَكَرَهُ حتّى يهرق؛ فإنّ ابن عباس كان يقول: ذلك نائك نفسه.

---

(١) ما بين المعقوفتين ناقص من (ب).
(٢) هذا الحرف مأروض من (أ).
(٣) الحرفان الأخيران لا يظهران في (أ).
(٤) هذه الفقرة تجيء في (ب) بعد الفقرة التالية.
(٥) في المخطوط: جرا.
(٦) في (أ): بيعها. والتصحيح من (ب).

• وأمّا ما ذكرت من ولائد سبي عُمان هل يصلح اتّخاذهنّ؟ فلا يحلّ لمسلم أن يشتري منهنّ شيئا يطؤه.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجل يؤخذ بمال وليّه فيبيع خدمه إن قدر له على خدم، فما باع في أمر حقّ يؤخذ به عن ماله فلا بأس، وإن باع ماله بعضه على بعض ومن مال الرّجل أحقّ أن يؤخذ ما عليه، وأمّا أن يؤخذ بظلم[١] فإنّ ماله لا يصلح لرجل مسلم أن يشتري مالا يغصبه صاحبه. ولوليه إن شاء أن يقول: هذا مال الذي يأخذونني [؟] فأنتم أعلم. فهذا لا بأس به. مع أنه يعجبني أن لا يشتري أحد منه شيئا.

انظر ـ أَمْتَعَ اللهُ بك وأصلحك ـ ألا ترفع كتابي إلى أحد؛ فإني لولا [ما][٢] أعرف من بليتكم التي كنتم [فيه][٣] لم أرجع عليكم شيئا، ولقد كنت أردت ذلك ثم كرهت اعم [؟]، فلا يأتيني من قبلكم أمر تعيبني فيه أتحمل عليه فيه أحد[٤]، واكتب إليّ بحاجتك مع ثقتك.

والسلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) في (أ): بضلم.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) لعلها: فيها.

(٤) هكذا في الأصل، والعبارة غير واضحة المعنى.

الرّسالة الثّانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عثمان بن يَسَار

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو، وأوصيك بتقوى الله [الّذي][1] أذعنت له الملائكة، وبه قويت للّذي قصد إليها منه. فاتّق الله، واعلم [أنّ التّقوى][2] عليها تعرض الأعمال، وهي غاية الرّشد، ولها انتصر بالممتثلات[3] لمن ضيّع ذلك منه. واعلم أنّ نسبة النّاس منه دينهم معروضون على الأسباب الّتي نسب المتّقون من التّخشّع والصّيام والصّلاة والتّحرّج والصّلة والقنوت والصّبر عند عزائم الأمور من زواجر النّهي، وهم يوم القيامة أهل تآلُفٍ[4] في الجنّة، متآلفين بنسبهم في الّذي بلغوا به الله.

---

(١) ما بين معقوفتين مأروض في (أ).

(٢) ما بين معقوفتين مأروض في (أ).

(٣) (بالممتثلات) هكذا في كلا النسختين؛ ولعل الصواب: المَثُلات. وهي عقوبته لمن خلا من أمم الضلال.

(٤) في النسختين: تأليف.

فإن استطعت ألّا تنخدع بالأمانيّ، ولا تشتغل بالّذي لا يغني فتيلاً افعل[١]. واعلم أنّك ممّن استخلص الله في عظيم الحجّة، ولا تكوننّ مَتْبُولًا[٢] مَتْعُوسًا ناكصًا على عقبيه، وتَعَرَّضْ لنائل الله بما تبلغ به مواعده، فإنّ الخلف لا يؤتى من قبل الله، ولكن العنف ضيم على أهله.

فنسأل الله الّذي حمد نفسه بما علم من عظمته، وأثنى على نفسه بمكارمه، واستخلص لنفسه من الثّناء على نفسه ما كره لخلقه؛ أن يغفر لنا ولك الّذي قد سلف ممّا أسخطناه فيه، وما سبق في علمه في الّذي نحن مصيبوه ممّا[٣] لا بدّ من مسـيرته، حتّى يحمل لنا مغفرة الذنوب قبل اللّزام والتّناوش. ونسأل الله الّذي لا إله إلا هو بأسمائه الجميلة الحسنى ذكرها أن يبارك لنا في الّذي وكّلنا به من أمر دينه.

أمّا بعد؛ فإنّا نخبرك من خبرنا أنّا سالمون صالحون، إن سلمنا وصلحنا من الذّنوب، ورزق فاضل علينا، ونعمة متظاهرة، ومن (يشـفق) [؟] كذلك. وقد أتاني كتابك تذكر فيه ما نحمد الله ونسـأله تمامه وكماله، في الّذي يوافق فيه ما أتاك من شكر أنعمه.

• فأمّا الّذي كتبت تسـألني عنه من المملوك هل يصلّي ولم يختتن؟ فإنّ الختان من المسلمين سنّة واجبة لا ينبغي تركها. ونكره أن تتركوا لكم مملوكًا غير مختون، ولا يصلّي حتّى يختتن.

• وأمّا الّذي ذكرت من شأن الوليدة؛ فإنّ النّساء إنّما كان خفاضهنّ تكرُّمًا، ولسن في ذلك مثل الرّجال، إنّما عليهنّ حلق العانة والطّهر[٤].

---

(١) في (ب): فافعل.

(٢) في النسختين: مثبولا.

(٣) في (أ): من ما.

(٤) في (أ): والضهر. وعليها أثر تصحيح، فصارت: والظهر. وفي (ب): الطهر.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل غُرَّ بوليدة مجنونة أو شبه ذلك من الدّاء، فجامعها مولاها الحدث لا يشعر بشيء من ذلك، فأحَبُّ ذلك إليَّ أن يصطلحا على صلح لما أصاب من بضعها، فإن كره ذلك مواليها فإنّها تجب على الأحدث بالقيمة تقوم وقد علم داءها، فما بلغت بالّذي ذكر من دائها فإنّها تكون له بذلك، وأمّا أن يردّها الرّجل بمثل الّذي أخذها وقد أصاب منها فإنّ ذلك ربا محض.

◦ وأمّا الّذي ذكرت من رجل غُرَّ بوليدة، أخبروه أنّها حرّة، حتّى إذا ولدت أولادا أخبروه[1] بعد ذلك أنّهم غَرُّوه؛ فإنّ أولاده أحرار ولا صداق لها، ولا نعمت عين، تخلع من قليل وكثير أعطاها.

◦ وأمّا ما ذكرت من رجل قال لامرأته: إنّي زنيت مرّة. ثمّ قال لها بعد ذلك: إنّي لعبت معك وعرضت التماس غيظك. فإنّ ذلك ليس بشيء، هو ذكره وهو كافر به، وإنّما يكره للمرأة إذا عاينت زوجها بالزّنى.

• وأمّا الّذي ذكرت[2] من رجل كان يُقْذَفُ بالزّنى، ثمّ تعاتبه، ثمّ يصدّق عليه بالقذف، قلتَ: إذا قُذِفَ هل يصلح لامرأة أن تتزوّجه؟ فإنّ ذلك لا بأس به، إنّما يكره أن تتزوّج المرأة من [أقيم][3] عليه حدّ الزّنى.

• وأمّا ما ذكرت من رجل أخذ نخلاً في أرض أخرى بنخل، أو أرضًا بأرض، أو دارًا بدارٍ، أو طعامًا بطعام، أو خادمًا بخادم؛ فإنّ ذلك لا بأس به، ما لم يطلب فيه الفضل ولم يُرْبِ أهله أمرهم في ذلك، فإنّ النّاس كانوا يفعلون ذلك، يأخذون أرضًا بالكوفة، ويعطون مكانها أرضًا بالمدينة، وأهل الطّائف ومكّة وما حولها من القرى يطلبون بذلك مرافقهم، ووطنهم أحبّ ما ملكوا فيه الأموال.

---

(١) في (أ): أخبره. والتصويب من (ب).

(٢) في (ب): ما ذكرت. وهما بمعنى.

(٣) هنا خرم في (أ)، والاستدراكُ من (ب).

• وأمّا ما ذكرت مـــن رجل تزوّج ضارّة أمّه، أو يطـــأ من الولائد ما وطئ والدُه زوج أمّـــه؛ فذلك كله مكروه، ولعمري لو أنّه لـــم يكرهه أهل العلم إلّا الدّنات [؟] كرهوه فلأنّه لا يزاحم من زاحم والده زوج أمّه.

• وأمّا ما ذكرت من وليدة رأت عورة رجل، أو مستّه، هل للوالد أن يطأها وقد رأت عورة ابنه ولم تزد على ذلك، والولد بمنزلة ذلك، وقد مس كل واحد منهما العورة؟ فأحب ذلك إليَّ أن يتنزها عن ذلك، ويتركانه إلى غير ريبة.

اكتب إليّ بحالك، واعلم أنّك ممّن يعجبني صلاحُه وعافيته. نسأل الله لنا ولك صلاح الدّنيا والآخرة وعافيتهما.

والسّلام عليك.

* * *

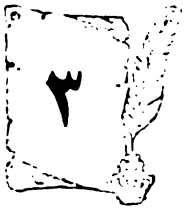

٣ الرّسالة الثّالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى ظريف[١] بن خليد

سلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله العظيم، واطلب بها حاجتك إلى الله، فـإنّ العباد لم يصيّبوا النّجاح لِمَـا طلبوا من قبل الله بمثل التّقوى، بها يعطـي الله الرّزق في الدّنيـا، والمخرج من كروبهـا، والمرفق من منافعها، واليسر من عسرها. وبالتّقوى تصاب الرّاحة والرّوح عند الموت، ورضاء الله ورضوانه ويسره، ونُزُلًا في الجِنان، والقربة من الله، وعند ذلك عرف المتّقون غِبَّ التّقوى وعاقبتها، ويصغر في أنفسـهم الّذي عملوا في التّقوى لِمَا رأوا من عظيم ثوابها، ووَدَّ المحسنون لو أنّهم ازدادوا إحسانًا مع أنّهم بلغوا بالّذي أخذوا به ما لا يرون أنّ أحدًا أُثِيبَ مثل ثوابهم، وكلّ المتّقين في كفاية يشتغل فيها.

واعلم أنّه لم يصب المتّقون من [فيما بعد][٢] الّذي لقاهم الله عند الموت من التّكرمة بالتّسـليم والرّيحان، إلى الّذي أصابوا فيها بعد ذلك أفضل منه،

---

(١) في كلا النسختين: طريف.

(٢) ما بين قوسين مخترم في (أ). والذي أثبته من (ب)، والعبارة غير ظاهرة المعنى.

حتى أضحوا في مضاجعهم، وحتى بعثوا منها، في كلّ تلك المواطن استأنفوا من الكرامة ما لم يكونوا يصيبــوا قبلها أفضل منها، فلم تَنْتَــهِ بهم كرامة الله ترفعهم في المزيد حتّى عهد بهم العاهد قاعدين عند ربّهم في معذرة الملك ملوكًا، محبرون، قد خلفوا جملة الأذى كلّه، وذهب عنهم المكروه، واستقبلوا اللّذات شــبابًا[١]، فليس في مثل الّذي ذخر الله من ثواب المتّقين ما يشتغل[٢] عنه مشتغل، ولا يزهد فيه زاهد، ولا يتوانى عن طلبه مُتَوانٍ، مع أنّ الّذي ادّخر لأوليائه أفضل من الّذي ذكر، وكفى كرامة بالعباد.

فإن استطعت ألّا تشــتغل عن الله وحاجته بحاجة مَنْ ضَرُّه أقربُ من نفعه فافعل، فإنّه من يكن في حاجة الله يكن الله في حاجته؛ يحفظها كلّها، ولا يضيع من حفظ الله، وحسبك الله كافيًا.

واعلم إن اقترفت وســوّفت وانتظرتَ بِعِدَاتٍ تَعِدُهَا نفسك يَنْزِلْ بك الأمر وأنت في بعد أمل، وينزل بك الأجــل، وعند ذلك تعرف تفريطك، وتنزل بك العقوبة، وتأخــذك النّدامة والشّــقاء. والمفتضح[٣] المهضع[٤] الحيران مَن بلــغ منتهى أجله في غير رضــوان الله، ذلك تنتهك مفاضحه صرفًا، وينزل الكرب عليه بعضه على بعض، مع ما لقي ببشارته من عذاب الله، يراجع الملائكة ويجحدها بما لا يــراد الله بمخادعته إيّاه بما عمل إلا ســخطًا في أنّهم يراودهم أن يقيلوا عثرته، وما يزيدونــه إلا ضربًا، يقلب لوجهه مبطوحًا فيضرب منه الدّبر، حتّى [إن هاجــت][٥] حريقًا في الدّبر

---

(١) في المخطوطتين: شيابا.

(٢) في (ب): يشغل.

(٣) في المخطوطتين: المفضح. وقد صححها ناسخ (ب) كما أثبتها هنا، وهي أشبه.

(٤) هكذا في النسختين، ولعله: المهطع.

(٥) في كلا النسختين: إن جت. وصححها ناسخ (ب) في الهامش.

قلب فنصب وجهه لهم، فإذا هاجت حريقا [تترضى][١] الملائكة ربّها لشدّة النّقمة منه، ولسوء نزله من النّار.

وكلّ الّذي يُصنع به صغير فيما يصيب بعد إفضائه إلى ربّه السّاخط عليه، غير [.....][٢] لم يؤخذ أخذه أحد، ولم يوثق وثاقه أحد، فينسيه الّذي لقي في مضجعه ما أصابه عند الموت، وينسيه الّذي أصابه من الهوان في مرقده الّذي أصابه عند مبعثه، وينسيه ذلك كلّه الّذي سيق إليه من نار الله الكبرى، إن قذف به في النّار أسيرًا، يداه إلى عنقه في الأغلال، ورجلاه موثوقتان إلى ناصيته، عليه كسوة يأكل بعضها بعضا، على جلد لا يتمالك الذي يصيبه من الحريق أن يحترق، فيكسى جلدا غضًّا[٣] رقيقا، مع مزيد في الّذي ذكر الله وما لم يذكر.

وكفى بالّذي ذكر شقاءً وعذابًا، غير أنّه من دخل النّار فقد شقي وخزي خزيًا طويلا لا انقطاع له، فعهد العاهد بالمفرطين قد أُرتجت عليهم أبواب النّار، مسلّط عليهم ملائكة نزعت منهم الرّحمة، وأعطوا القوّة في غلظ وفظاظة[٤].

فليس في مثل الّذي ذكر الله من الهوان لمن عقله وأيقن به وصدّق به ما يهون في أنفس من يعقله، ولكنّا لو نعقل الّذي نصف من ذلك، أو نذكر، أو يبلغ نعته قلوبنا أو تصدّق به؛ لم نلتفت إلى شيء من الدّنيا حتّى ننظر إلى ما تصير به الأمور من ذلك، وما نُعْطَى ذلك إلّا بالله الّذي خلق الخلق لجنّة

---

(١) بياض في (ب). وفي (أ) كلمة وجّهتها كما تجد هنا. وهي غير مقروءة في المخطوطة، وهكذا رسمها: تترطا.

(٢) هكذا، والظاهر أن هناك نقصا في الكلام.

(٣) في (أ): غظا.

(٤) في (أ): فضاضة.

ونار، فمنتهى العباد إلى ما خلقوا له. فنسأل الله الرّحمن الرّحيم لجلاله[١] وبقاء وجهه وحسنه ونوره وجماله أن يجعل سعينا عنده السعادة[٢].

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون إن اتّقينا الله بحقّه. وقد أتاني كتابك تذكر فيه أنّي من أهل ودّك وصنيعتك ومناصحتك لما جعل الله بيننا وبينك من الإسلام، فهو أفضل النّسب، وأفضل ما تواصل النّاس به، وتسبت[٣] حبلهم بحبله.

• أمّا الّذي ذكرت من رجل لا يعرف لـــه وارث إلّا أم له مملوكة، فعتقت قبل أن تقسم الميراث؛ فإنّ والدته ترثه إن لم يكن أحد أحرز الميراث بحقّه، ولو كان له ورثة يحرزونه ثمّ كانت الوالدة بمنزلة ذلك ورثت.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل باع بُرًّا بدراهم إلى أجل: قفيزين بدرهم، ثمّ بلغ أجل الدّراهم فحلّت دراهمه، فقال صاحب الدّراهم: عندي برّ، إن تشأ أن تأخذ بسعر ما يبيع به اليوم فعلت، وإن تشأ أن أبيع فتأخذ دراهمك فعلت. إنّ ذلك لا بأس به، إنّما هي دراهم، وله أن يأخذ بدراهمه ما شاء من العروض، وإن باعه خمسة أقفزة وزيادة فلا بأس.

• وأمّا ما ذكرت من رجل اشـــترى مئة من الشـــياه عددًا، على الرّجل أن يوفيها عددًا من أي قطيع شـــاء، قد تعلم بعينها ثمّ عـــرض له أن يقبض. فأمّا العدد فلا بأس ببيعه قبل أن يقبض، إلا أن تكون الغنم قد كانت بنســـيئة إلى أجل فلا يبيعها حتّى يقبضها. وأمّا ما كان من بيع حاضر فلا بأس به، إنّما يكره النّسيئة من أجل نقصانها. وأمّا أن يقول: عد لفلان المئة الّتي اشتريت منك؛ فلا بأس بذلك.

---

(١) في (ب): بجلاله.

(٢) في (ب): للسعادة.

(٣) في النسختين هكذا، ولعله: تشبث.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يجامع جاريتين في جنابة واحدة فإنّ ذلك لا بأس به، ما لم يجمع بينهما. فأمّا أن يجامع رجل جاريته في بيت ثمّ يخرجها ثمّ يرسل إلى الأخرى فذلك لا بأس به.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل أتى امرأته وهي في المستحمّ تغتسل من المحيض، قد غسلت فرجها ولم تُفِض الماء على سائر جسدها، وقد غسلت رأسها؛ فتلك لا تصلح مجامعتها.

• وأمّا ما ذكرت من أن أبيّن لك[1] شأن المجامعة، وفرج المرأة حيث أوتي، وكيف صنع الرّجل؛ فلا بأس به، والدّبر لا يصلح، واذكر اسم الله على المجامعة. وأمّا أن يبيت الرّجل جنبًا على أن يعاود امرأته، فليغسل فرجه وليتطهّر طهوره للصّلاة. وإن لم يرد أن يعاود فليغتسل. والغسل أن يبدأ بمذاكيره[2] فيغسلها، ثمّ يغسل كفّيه من غير أن يدخلهما في الماء، ثمّ تفيض الماء عليك.

• وأمّا ما ذكرت هل يتطهر الرّجل بعد ذلك للّصلاة؟ فكفى بطهره على مغتسله طهورا.

• وأمّا ما ذكرت من الماء ما يغسل الرّجل؟ فإنّه يغسله ملء التَّوْر ليس بصغير، فإذا اغتسلت فانضح الرّأس واللّحية، وأمّا نضح الثّوب فإنّ الثّوب لا يجنب ولا الفراش.

• وأمّا ما ذكرت هل يصلح أن تمسّ ثوبك بعد ذلك؟ فإن وليت أن تمسح ذكرك فلا تمسّ ثوبك حتى تغسل كفّيك، واعلم أنّه يستحبّ أن يغسل الرّجل ذكره حين يقوم قبل أن يمسّه شيء من ثيابه.

---

(١) في (أ): ذلك. والتصحيح من (ب).

(٢) في (أ): بمذاكره. وما أثبته من (ب).

• وأمّا ما ذكرت أن أبّين لك أفضل صلوات اللّيل، فإنّه بلغني أن أفضّلها أوّل نومة. بلغنا أنّ أوّل هجعة للنّاس ينادي منادٍ: من يدعو فيستجاب له، ومن يستغفر فيغفر له، ومن يتوب فيتاب عليه.

• وأمّا ما ذكرت من رجل سبقه الإمام بركعة وأدرك الأخرى فليتمّ ما سبق به إلى ما أدرك.

• وأمّا صلاة الجمعة مع الإمام ركعتان، فإن لم يدرك شيئًا من ذلك [مع][1] الإمام فليتمّ صلاته الأولى. واعلم أنّ الجمعة عزيمة من الله على المؤمنين، وأنّه بلغنا أنّ الكتّاب يكتبون يوم الجمعة على أبواب المساجد حتّى يخرج الإمام فيرفعون الكتاب. وقد تحدّث النّاس أنّ في الجمعة ساعة لا يدعو فيها مؤمن ربّه إلّا استجاب له. وقد ذكر لنا عن ابن عبّاس أنّ ذلك حين يقوم الإمام إلى الصّلاة، وذلك أشغل ما يكون عند صفوفهم.

واكتب إليّ بما كانت لك من حاجة. واعلم أنّه حبيبٌ إليّ توفيقك الرّشد، وما ذاك إلّا بالله الكبير. نسأل الله الكبير المتعال أن يوفّقنا وإيّاك للّتي هي أحسن، حتّى يرضى بذلك عنّا.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) ناقص من (أ).

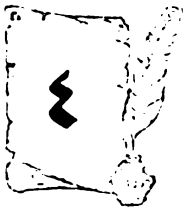

الرّسالة الرّابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى غطريف بن عبد الرّحمن

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، وحُسْنِ الثّقة في التّوكّل عليه، فإنّ [مَنْ] يُحْسِنِ الظّنَّ بالله تكن ثقته به، ومن يكن سيّءَ الظّن بالله تكن ثقته بمن لا يكفيه من أمره كفاية. وينزل السّيّء ظنّهم بالله بمنزلة الرّدى والخسران. فاتّق الله ولا تكن منه على حَرْفٍ. وكن صادقًا في النّصيحة، ولا تكن مخدوعًا خادعًا.

واعلم أنّ الأحمق الجاهل مَنْ طلب مخادعة الخالق، خالق الخداع، ذلك يَنْزِلُ به جَهْلُه أبوابَ النّفاق. واعلم أنّ لأهل النّفاق أبوابًا، نسبتهم في منازل مختلفة، النّاسُ منها ما يَصْغُرُ في أنفسهم أمرُه، يخلف الله به من الإسلام فيعلم من شاء بذلك، ومنهم من يصير له بأخلاق يتخلّق بها في الإسلام.

واعلم أنّه كان من أصغر أبواب النّفاق في أنفس النّاس الخُلْف، فأعلم الله به النّاس أمرًا عرفوا أنّ مصيره من خالطه من الّذي يصغر في نفوسهم إلى

النّاس، فيعرف أهل اللّب أنّ ما سوى ذلك عند الله ما هو أكبر من الخلف، على قدر ما يعظم من أبواب النّفاق. فتعاهَدْ تلك الأمور، وتذكّر عاقبتها، وتنزّه عنها تَنَزُّهَ مَنْ توقّاها توقّيَ مَنْ ترك فيه كثيرا من صفة الأمور مخالفة القربة، من الّتي بها يسخط الله على المقارفين لها.

واعلم أنّ العباد بمنزلة عور [؟]، الكيس منهم المقارف للحزن والبكاء والخوف مخافة الاستدراج. فإن استطعت أن تَعَاهَدَ منزلتك في كتاب الله فافعل، فإنّ منازل العباد مستبينة واضحة، يعرفها أهل المخرج من الزّلل والعثرات.

واعلم أنّ الجبّار لم يزل يصنع إلى المناصحين له في أمره من الصنّع صنعًا عرّفهم به منازلهم من الله في كتابه، فما زالوا به للمهتدين منارة، يهتدون بها فيأخذون في جادتها، أعْلَمَ لهم فيها النّور، حتّى إذا ذُلِّلَتْ لهم طرقها، ودلّوا بعرفانها، ووطّنوا قلوبهم عليها، وتَبَيَّنَ لهم واضحٌ مَهْيَعٌ؛ سَمَا بهم في مزيد الهدى والثّبات، حتّى أعلمهم جملة نسبتهم ونسبة النّاس، حتى عرفوا أمر الله ونسبته لخلقه ما لم تعرف الملائكة، حتّى عرفوا مواضع الكلام وكلّ لحظة وزلّة. فإن استطعتَ ألا تكون متعاهدًا لما لا تَغْنَى به شيئًا، وتصنع الّذي أنت عنه مسؤول من هذا.

واحذر أن تُدِلَّ على الله بِدَالَّةٍ، ولا تريَنَّ أنّ لك فضلاً في الإسلام، فإنّه مَنْ يكون بتلك المنزلة من التَّزَيُّنِ تَزَيَّدَ من معرفة فضله. ومَنْ يكن بهذه المنزلة يكبر مَقْتُه عند الله. وكفى بالعباد شقاءً أن يكونوا بمنزلةٍ يرون أنّ لهم فضلاً على سائر العباد، بخير ابتلاهم الله به واختصّهم به.

واعلم أنّ المُصَغِّرَ إليه نفسَه، المحتقرَ إليه عملَه؛ بمنزلةِ غبطةٍ عند الله وشرف، فتفهَّمْ في الّذي عَمَرَ الله به قلبك من كتاب الله، فإنّ القارئ له من

عرف منزلته، والجاهل له مَنْ لَمْ يَدْرِ أموره وإن دلّ[1] به لسانه. فنسأل الّذي بفضله ورحمته يتدارك أهل الزّلل والخطايا أن يتداركنا في الّذي أسخطناه فيه.

أمّا بعد؛ فإنّا صالحون سالمون إن عرّفنا الله فضله وفواضله، وقد أتاني كتابُك تَذْكُرُ فيه صلاحك وعافيتك، فحمدت الله على ذلك، وسألتُه تمام كرامته فيما يوافق محبّته، حتّى يمضينا على ذلك.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل أسلف بُرْدًا بثوبين، فإن يردّ غير البُرود فإنّ ذلك لا يصلح.

• وأمّا الّذي ذكرت من شأن الحبوب وما يباع شيء منها نسيئة ببرّ فإنّ ذلك لا يصلح.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل أدرك الإمام يوم الجمعة وقد تقدّم إلى الصّلاة، وليس الرّجل على طهر ولا ماء، لكنه إن طلب الماء فاتته الصّلاة مع الإمام؛ هل له أن يتيمّم بالصّعيد ويصلّي؟ فلا لعمري؛ ما الصّعيد في قرية فيها الماء، إنّما الصّعيد في الفلوات حيث ليس الماء، فليطلب الماء ثمّ يصلّي الأولى، فلا والله ما أنّا بمرخصّ له في الصّعيد وهو غير متوضّ، وما بال الرّجل يأتي الجمعة وهو غير متوضّ!!

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل أصاب من امرأة زنى في شركهما، ثم أسلما بعد ذلك؛ هل يصلح له أن يتزوّجا، يجدّد لها؟ فذلك الّذي كان يقول ابن عبّاس رضي الله عنه: «أوّله سفاح وآخره نكاح».

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل اعتمر عمرة ثابتة، ثمّ رجع إلى أهله فقضي له

(١) هكذا في الأصل. ولعلها: دَلْدَلَ به لسانَه. أي: حَرَّكه.

أن يحجّ؛ هل له أن يتمتّع؟ فإنّ قدم من يوم عرفة فلا عليه أن يتمتّع، فإن قدم قبل ذلك وأنف [؟] فإنّي أكره أن يقيم بمكّة أيامًا محـــرم، فليتمتّع، على أنّه العمرة في السّنة واحدة.

اكتب إليّ بما كان لك من حاجة.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

٥ الرّسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى الحارث بن عمرو

سلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيــك بتقوى الله، والصّدق فيما يبلغ به الله، فإنّ الله موفي الصّابرين أجرهم بغير حساب، والصّابرون بلغ من أمرهم التوكّل على الله، والرّضا بقدره الّذي قضى الله [به]؛ في الأمور كلّها. فعليك بتقوى الله، فإنّ بذلك تنال ما عند الله من مزيد ما لا تعلم من كرامته، وما تقرّ به الأعين، وذلك كلّه لمن علم الله من نفسه الصدّق والإحسان. نسأل الله الّذي وسع كلّ شيء أن يغفر لنا ما أحاط به عِلْمُه من ذنوبنا.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون، والله حميد محسن. وقد أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتعظّم فيه الّذي بيننا وبينك، فنحمد الله على ما صلح من ذلك، ونسأله الزّيادة في الصّلاح.

وأمّا الّذي ذكرت من منزلك منّا فنحن عارفون بذلك، ونحن راصدون كلّ الّذي صنع، أن جعل فيه عشــر ناصريك من النّاس مَنْ قسم الله له الشّرف في الدّين والدّنيا. جعلك الله بخير. لبيب فاضل الرّأي، ثابت المنطق. فما زلت ـ

والحمد لله ـ أخبر لك الّذي بلّغك الله من الفقه في الدّين، والنّصيحة، ومنتهى ما ترجو فيه فواضل الأمور. فأتّم الله عليك النّعمـــة، وزادك من فضله، فأنت ممن نحبّ وتقرّ علينا عينه، ونحبّ رشده ورضاه وعافيته، أنت سيّدنا وقديمنا وكهلنا، ومَنْ نرجو لكلّ منفعة وشـــديدة تنوبنا، فأتـــمّ الله علينا وعليك الّذي أعطانا من فضله، وزادنا شكرًا برضائه عنّا.

أتاني كتابك تســـألني فيه عن أمر تأمرني ألّا أدّخر عنك فيه نصيحةً أقدر عليها؛ لَعَمْرِي إنّك لذلك أهل.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل كانت به جنابة، ولم يجد إلّا ماء يسيرًا، وقد تباعد منه الماء، وقد أدركته الصّلاة وخاف أن تفوته، فإنّي أخبرك أنّ الرّجل إذا كان معه ماء يسير كانت له رخصة، إن خاف ظمأ، فليتيمّم صعيدًا كما أمره الله، وإنْ لَمْ يَخَفْ ظمأ وعنده ما لا يبلغ غسله أجمع؛ فإنّ المسلمين كانوا قبلنا كان الرّجل يغسل فرجه ثمّ يتطهّر طهوره للصّلاة، ثمّ يصلّي صلاته، فإذا بلغ الماء فليغتسل.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يمّم الصّعيد، ثمّ صلّى، ثمّ أدرك الإمام ولم تفته الصّلاة، فإنّ أَحَبَّ ذلك إليّ ألا يتيمّم الصّعيد حتّى يخاف أن تفوته الصّلاة قبل أن يدرك الماء.

• وأمّا الّـــذي ذكرت؛ هل يعيد الرّجـــلُ الصّلاة إذا أدرك المـــاء ولم تفته الصّلاة؟ فإنْ شاءَ أن يغتســـل ثمّ يصلّي فليفعل، فإن اتّكل[1] على صلاته فقد صلّى، وأَحَبُّ ذلك إليّ أن يغتسل ثمّ يصلّي إن لم يكن فاته حين الصّلاة.

• وأمّا الّذي ذكرت مـــن قلّة الماء مع الرّجل لا يبلـــغ طهوره أجمع، هل يصلح أن يغسل رأسه في إناء ثمّ يعيده على جسده؟ فإنّي أخبرك أنّه يكره أن

(١) موضع المكان في الأصل محترق، ولعلها: اتصل؟.

يعيد الرّجل على جسده ما يغسل به رأسه من جنابته، والطّامث مثل ذلك؛ يُكره لها نحو ذلك، إلّا ماء جاريًا فقد يصنع ذلك.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يمس مذاكره وهو يصلّي؛ فإنّه يكره ذلك إلا من وراء الثّوب، فلينصرف وليتوضّأ وليعد صلاته، وأمّا [مس] الإبطين فلا بأس بذلك، إن يمسّهما الرّجل وهو يصلّي.

◦ وأمّا الّذي ذكرت من رجل يصلّي المغرب والعشاء والصّبح لم يقرأ فيهنّ بشيء من قراءة[1]، فإنَّ أحبَّ ذلك إليَّ أن يعيد صلاته فيقرأ فيها، فإنّه قد ترك السّنة فيها، إلّا أن يكون رجلاً أمّيا لا يقرأ واغتمّ، فإنّ الله لا يكلفّ نفسًا إلا وسعها.

◦ وأمّا ما ذكرت من إمام قوم لم يركع في صلاة مكتوبة، فاتّبعه النّاس ولم يركعوا، فإنّ أولئك أحبُّ إليَّ أن يعيدوا[2] ما خالفوا فيه السّنة، فإنّ من ترك ركوعًا أو سجودًا أو قراءةً أو قعودًا لا يستقيم للنّاس أمرٌ يخالفون فيه السُّنة.

• وأمّا ما ذكرت من رجل تسلّف في البرّ خمسين كرًّا أو فوق ذلك أو دونه، ثمّ يبلغ الأجل فيأخذ خمسة وعشرين كرًّا، ويأخذ ببقيّة الطّعام رأس ماله؛ فإنّي أخبرك أنّ عكرمة فتى ابن عبّاس يذكر عن ابن عبّاس أن يأخذ طعامه كلّه أو دراهمه. وأمّا أنا لا أبا [؟] إلا رجلاً تسلّف في كرّ دراهم معلومة، ثمّ أعطى للأكرار كلّ كر دراهم معلومة، فإذا بلغ الأجل قبض طائفة وتجّوز عن طائفة، فإنّ الرّجل يتجوّز عن ما يشاء من ماله ويأخذ ما يشاء فلا بأس، والله جازٍ [العباد][3] بنيّتهم، فليأخذ، وإنّما يكره أن يأخذ طائفة برًّا وطائفة تقوَّم فيأخذ قيمة البرّ دراهم، وأمّا أن يأخذ طائفة ويتجّوز عن طائفة

(١) هكذا في الأصل، ولعلها: قرآن.

(٢) هكذا رسمها في الأصل: يعيدواوا. ولعل الواو والألف مكرران.

(٣) ما بين معقوفتين ناقص من (أ). ويدل عليها تكرار العبارة آخر الفقرة.

فلا بأس بذلك، وأمّا أن يكون أجمل أكرارًا بدراهم معلومة جملة فذلك الّذي يكره، والله جازٍ العباد بنيّاتهم.

واعلم أنّك ـ أصلحك الله ـ بأرضٍ أَكْرَهُ أن تَذْكُرَ لي فيها اسـمًا، فلا تَرْوِ شـيئًا مما كتبتُ به إليك، واكتب إليّ بما كانت لك مـن حاجة، فإنّي أحبّ رضاك وما يسرّك.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

٦ الرّسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عنيفة

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّـذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله والسّـداد والاقتصاد، فإنّ ذلك أفضل ما يُبْلَغُ الله به.

واعلم أنّ أحبّ الأمـور إلى الله أن يؤتى فيهـا: تَنَاهٍ[1] عـن ما حرّم الله، وتمسُّـكٌ بما جعل فيه قضاه عزيمة. فإذا جاءك كتابـي فلْيَعْنِكَ ما افترض الله عليك في سمعك وبصرك وقلبك وسائر جوارحك، ولا تتوانَ عمّا لا بدّ لك منه، وتَنَاولَ ما أنت مسـتغنٍ عنه؛ فإنّ الفقير المُعْوِزَ مَن استغنى عن المُفْتَقَر إليه، وافْتَقَر إلى المُسْتَغْنَى عنه، ذلك يكون بمنزلة مَنْ لا يتمسّك بعصمة، ولا يتوثّق بعروة. فإن استطعت أن تُشْـهِدَ ـ مع علم جوارحك ـ حَفَظَةَ[2] الأرض ما تحمد غِبَّ أمرك فافعل، فإنّ الله جعل أولائك ألسنةً ذليقة، يستنطقها الله في مواطِنَ ينفع الله فيهـا الصّادقين بصدقهم، ويضرّ الكاذبيـن بكذبهم، ويكون

---

(١) في الأصل (تناهي).

(٢) في الأصل: حفضت.

كذبهم عليهم وَبالا، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

الخاسر مَن خسر على تفريطه في الدّنيا. فاتّق الله، واحذر أن تنزل به منزلة مَنْ يعيد بالعمى والتّرك له بعد المعرفة والبصيرة فيه، وذلك أنّه يقول: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ذلك بأنّهم استحبّوا العمى على الهدى، واشتروا الخسران بالمربح ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

فإن استطعتَ ـ ولن تملك ذلك إلّا بالله ـ ألا تموت إلا وأنتَ مُسلم فافعل، فإنّ الإسلام سلم وسلامة، من أن تكون من أهله، تأخذ من أدبه، وتثبت على خلقه، ومَن ينتحله بغير ثباتٍ عليه ولا ومواتاته ينفى منه. والإسلام كلّ الخلق يعترف له بحقّه، ومن يجهل ذلك يكن الله له قليل العتاب. ومن يعرف الإسلام بحقّه ثمّ استخفّ بعد الإقرار به على نفسه [.....][1] معاتبة الله، ويكون ذلك عليه شقاء. بات لا يُعْلَمُ أحدٌ أبعدَ من الله بُعدًا، ولا أَثْبَتَ عليه عذابًا، ولا الخلق كلّه تروله [؟] معاداة منّا وأنتم؛ إن لم يعرف الله منّا النُّصْحَةَ والإخلاص له في الّذي استشهَدَنَا به على أنفسنا.

فاتّقِ الله، وكن لِمَا خفتَ فيه على نفسك حَسَنَ المعذرة إلى الله، فإنّ الله لم يردّ على أحدٍ من الأوّلين معذرة يعرف له العذر فيها فيردّ على الآخرين. واعلم أنّ أفضل المعذرة ما اعتذرتَ إليه في وَجَلٍ ومخافة، ومن يعتذر في غير أمر يكبر به ولا يخاف على نفسه فيه الهلاك لا يقبل الله له فيه عذرًا، وأفضل التّنصل إلى الله من الذّنوب وأحلّ من مجادله فيها واستعن عليها لمخافة [؟].

---

(١) بياض في الأصل بقدر كلمتين.

واعلم أنّ العبد لم يمانع [؟] مثل الله استنصاحًا، ولا أشدّ حيطة، ولا أعظم مجازاة، ولا أقلّ مؤونة ومرزية، وذلك بأنّ الله لـــه الدّنيا والآخرة ومن فيهما وعليهما، فبلغ من غناء الرّب العظيم أن أعطى عباده من دنياه، ثمّ استقرضهم شـــيئًا أعطاهم، لِيَبْلُوَ بذلك أخبارهم، ولينظر كيف يصنعـــون فيما آتاهم من فضله.

فكن ـ ولا قوّة إلا بالله ـ كيِّسًا في أمرك حازمًا، فإن أفضل الكَيْسِ التُّقَى. وإنّ أفضل[1] الحمق الفجور. وإنّ أفضل الغِنَى غنى النّفس. وإنّ أفضل[2] الفاقة فاقة النّفس. مَنْ يســتَغْنِ بنفســه يحســن ظنّه. ومن يفتقر بنفســه يسوء ظنّه. المؤمنون على أمر معروف؛ يعرف لهم في الأمور كلّها الفضل، بأنّ المؤمنين فضلهم الله بثباته إيّاهم في ما أثبتهم عليه، من الّذي ارتضى لنفسه من مكارم الأمور. فليس من ذلك شـــيء أثنى الله به على نفســـه إلا خصّ المؤمنين به، وجعل لهم فيه أفضل النّصيب.

فانظر ما أوتيتَ من ذلك وما وطنت منه، واســـأل الله الرّحمن الرّحيم أن يرحمنا بما رحم به مَنْ كان قبلنا من المسلمين، وأن يكون ما وَهَبَ وما قَسَمَ لِخَيْرٍ يريده بنا، ولِخَيْرٍ سَبَقَ لنا عنده.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون من فضل الله علينا ومواهب منه، ومن هو لك عان به كالّذي تحبّ أن يكون وتكونوا[3].

وقد أتاني كتابك تذكر فيه ســـلامتك، وحُسْـــنَ بلاء الله لديك في الأمور كلّها. فنحمد الله على ذلك، ونسأله ما يرضى به عنّا من تمام النّعم والثّواب.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) في الأصل: وتكونون.

أتاني كتابك في الّذي تحبّ أن تسألني عنه ممّا[١] أن أبلغ فيه ما تطمئنّ إليه، فإنّما ذلك بالله ومِنّته، ليس من ذلك شيء إلا ما يَرْوِي النّاس عن النّاس، وأمّا مِنْ رأيٍ عندنا فنحن في ذلك أَنْقَصُ رأيًا.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من امرأةٍ تجمع بين الرّجل والمرأة حرامًا بمنزلة واحدة؛ هي في الحدّ أم لا؟ وهل يحلّ نكاحها إذا هي تابت من ذلك ولم تَقْرَبْ زنى؟ أمّا الثّلاثة فهم في الحدود سواءٌ؛ إذا عُرف منهم ذلك، وأمّا نكاحها فأكرهه لكلّ مسلم.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من امرأة كانت من أرض خراسان لها زوج، ثمّ خرجت من أرض خراسان[٢] إلى أرض حربٍ لأهل القبلة، وهم أهل قبلة، فتزوّجت وكان ذلك دينهم. ثمّ رجعت إلى خراسان وقد توفّي زوجُها الأوّل، هل يصلح لرجل مسلم أن يتزوّجها إذا هي تابت؟ فذلك حرام على كلّ مسلم، ومثل هذا من المسألة لا يعجبني أن تَكْتُبَ إليّ به.

• وأمّا ما ذكرتَ من الإذن والتّسليم في الفساطيط والأخبية، فهي بيوتٌ، فسلِّمُوا على أهلها واستأذِنُوا.

• وأمّا ما ذكرتَ من رجل طلّق امرأته، ثمّ تراضيا على الرّضاع حَوْلَيْنِ كاملين؛ هل يصلح له أن يشترط عليها ألّا تتزوّج فيهما؟ وقولك: فإنْ تزوّجت وحملت ثمّ فَصَلَت الولد قبل أن تتمّ ذلك؛ فإنّ الشّرط عليها قبيح، وإن شرطت ثمّ تزوّجت لم تَرْكَبْ حرامًا، وما كان من رضاعٍ قبل التّزويج حُسِب، وما كان بعد التّزويج فإن شاء والدُ الولد لم يَحْسِبْه، إن نسخوا يقوم [؟]، وإن سخت المرأة نفسًا بما أرضعت ما لم تَحْمِلْ فذلك حَسن لمن قبله.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل كلمة سقطت هنا تقديرها: مما [ترجو] أن أبلغ فيه ما تطمئن إليه.

(٢) في الأصل: خراصان.

• وأمّا ما ذكرت من الميثاق قبل انقضاء العدّة: لا أتزوّج غيرك؛ فقد عزما العقدة، فذلك نكاح لا ينبغي، فإن نكحها بعد انقضاء العدّة فُرّق بينهما، ولم يعجبني مراجعتهـا وأن لا يكون تزوّجها، فوالله لَتَرْكُهـا أَحَبُّ إليّ. وكان ابن عباس يقول: إن تركا الميثاق ومضت لها في غيـر عدّة نحو العدّة الأولى فلا بأس بنكاحها. وترك اللّبس أعجب إليّ.

◦ وأمّا ما ذكرتَ من رجل ضربه رجلٌ بسيف أو بعصًا، ثمّ برئ المجروح فأُعْطِيَ دية الجرح، ثمّ بعد ذلك بغى وانتقض الجرح، وكان برؤه الأوّل على عوار، فمات الرّجل؛ فإنّ ابن عباس كان يقول: قضى عمر بن الخطاب ﷺ في ذلك بعد حولين أنّ الدّية كما نقص من ذلك ما أخـذ من جرحه. يقول: إنّما أوتي من ذلك.

◦ وأمّا ما ذكرتَ من قوم أمّهم رجل أُمّيٌّ في صلاة فيها قراءة، فلم يقرأ إلّا أمّ الكتاب لم يُقِمْها؛ هل تمت صـلاةُ مَنْ صلّى معه أم يعيد صلاته؟ الجواب في ذلك: أنّه يعيد صلاته. فإنّه قد خالف السُّـنة. وما كان من أمرٍ خُولِفَ فيه السُّنة نُقِض.

• وأمّا قولك: أَمَّهُم سكران فخلط قراءته؛ فليعيدوا صلاتهم. فبئس الإمام الأُمّي والسّكران. فلا يؤمُّهم واحدٌ من ذلك. ولا يأتّموا بهم.

• وأمّا ما ذكرتَ من رجل عليه مال كثير لا يدري ما فعل صاحبه أحيّ هو أم ميّت؛ هل على ماله زكاة؟ فإنّي لا أحبّ أن يزكّي رجلٌ مالَ رَجُلٍ هو عليه دَيْنٌ. وأمّا قولك ما يصنع به؟ فليمسكه حتّى يأتي صاحبه، ولا يغفل عن المسألة عن أهله وقومه، فإنّي قد علمت أنّه لا يجب أن يتصدّق به ثمّ يقوّمه إن جاء له طالبٌ.

• وأمّا ما ذكرتَ من رجل رمى أُمَّ ولدٍ له وليدة؛ فإنّ ابن عبّاس كان يقول في ذلك قولا شديدًا، يقول: تحرم عليه.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجلين اشـتركا في جارية، فوقـع عليها أحدُهما فحملت منه، فقال الآخـر: جاريتي عذراء وقعتَ عليهـا فافتضضتَها، وكانت عذريتها تُغليها. فمضى كذلك حتّى اسـتبان حملها. فأمّا الّذي وقع عليها فهو زانٍ، وإن كان محصنًـا رُجِم، ووقفت الجارية يوم هي عـذراء بأغلى قيمتها، فأخذ من مال الّذي وقـع عليها نصف ثمنها، فإذا ولدت قُـوِّمَ ابنُها، ثمّ أخذ شريكه نصف ثمنه[1].

* * *

(١) تمت الرسالة هنا في الأصول دون خاتمة.

٧ الرّسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى نافع بن عبد الله

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله الرّب العظيم، الّذي يَعْلَمُ منك ما تجهل من نفسك، والّذي اطّلع على ما يُضمر قلبك، وما تختان عيناك، وما تبدي أو تخفي نفسُك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد.

فانظر هذا الرّب الّذي نزل منك هذه المنزلة، فكن منه أشدّ مخافة، وله أشدَّ اتّقاءً من غيره، واعلم إنْ أطعتَه رافقته في داره مع الأنبياء والصّديقين والشّهداء، وحسُن أولئك رفيقًا، وإنّك إن عصيته أدخلك نارًا ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. فإن استطعت ألّا تملك قليلاً فانيًا ويشغلك عن كثيرٍ باق فافعل.

واعلم أنّ ذلك ليس إليك، فاسأله واستوهبه ممّن يملكه، وأَعْلِمْهُ منك الرّهبة في مسألتك، والرّغبة في استيهابك. ولا قُوَّة إلّا بالله. نسأل الله ونرغب إليه أن يعطينا في أمورنا كلّها ما يجوزنا به في سبيل الصّادقين، ويدخلنا في جنّات النّعيم.

أمّا بعد؛ فإنّا ـ وربّنا محمود، ونحمده إلينا في أمرنا كلّه ـ كالّذي تحبّ من العافية والسّلامة، وذلك عام لِمَنْ يعجب ذلك له.

وقد أتاني كتابك تُعَظِّم فيه الحقّ والمعروف الّذي بيننا وبينك. فما عظّمت منه فهو كذلك، والفضل من ذلك في أنفسنا، فنحن له راصدون متمسّكون بنصائحه.

وأمّا الّذي ذكرتَ تُقسم عليّ أن أكتب إليك بحاجتي، وتخبرني أنّك بها مسرور؛ فزادك الله من فضله، وأوفاك في الّذي أعطاك بأوفى المؤمنين. فحاجتي أن يعافيك، وأن يقرّ عينًا ببقائك فيما تحبّ.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من الّذي تسألني عنه؛ أن امرأةً توفّيت ولم تحجّ قطّ، فأوصتْ أن يحجّ عنها إنسان[1] من مالها؛ فقد أحْسَنَتْ، فأَحِجُّوا عنها مَنْ هو فقير إلى ذلك، وإن كان من أهل قرابتها.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجل تزوج حرّة، ثمّ تزوّج عليها بعد ذلك أَمَة؛ فبئس ما صنع، وتنزع الأمة، فإن كره ذلك فالحرّة على رأس أمرها.

• وأمّا ما ذكرت من رجل يزوّج عبدَه أَمَتَه، ثم بَدَا له أن يتسرّاها؛ فليطلّق الرّجلُ عن عبده، ثمّ تعتد من طلاقه، فإذا انقضت العدّة فليتخذها إن شاء.

• وسألتَ إنْ بيع زوجُها فذُهِبَ به إلى أرض أخرى ولم يطلّق، فطلّق عنه مولاه الّذي باعه قبل البيع، فإنْ لم يجد مولاه الّذي باعه فلا ينبغي له أن يمسّها ولها زوج نكح بشهود وفريضة.

• وأمّا رجل ينكح وليدته عند قوم آخرين؛ فلا تحلّ له حتى يطلّقها سيّده.

---

(١) في الأصل: إنسانا.

• وأمّا ما ذكرتَ من دابّة ضربت بيدها إنسانًا وعليها صاحبها؛ فليس عليه قصاص، ولكن الدّية على صاحب الدّابة ما بلغ الجرح والنفس.

• وأمّا ما ذكرت من أنّكم تَسْبُون أهل أرض، ثمّ يصير الرّجل وامرأته لأحدكم؛ فسألتَ: كيف يصنعون بنكاحها إذا صلّيا جميعًا؟ فإذا شاء مولاهما أن يُقِرَّ نكاحهما على النّكاح الأوّل فليفعل. وإنْ شاء فرّق بينهما. فإن فرق بينهما وقد اجتمعا في أمر الصّلاة على نكاحهما الأوّل فإنّ العدّة من فرقتهما، وإن كانت الفرقة قبل الصّلاة فلا طلاق عليهما، ويستنظف ظهرهما.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجل تزوج جارية لم تَحِضْ، فطلّقها بعد أن دخل بها، فلم تحض حتّى كان في آخر عدّتها بعشرة أيام؛ فإنّها تستأنف ثلاث حِيَضٍ من يوم حاضت، ولا تعتدّ بشيء ممّا خلا.

واكتب إليّ بحاجتك، فإنّه مما يعجبني وأَسْتَبْشِرُ به.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

٨ الرّسالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى يزيد بن يسار

فإنّي أحمد إليك الله ـ بعد السّلام عليك ـ الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، والإسلام والاستسلام له فيما أحببتَ وكرهت، فإنّه ليس لك أن تقدر في أمر الله ولا أن تختار عليه.

فأعطِ الله من نفسك الإذعان، واجعل قضاءه عليك حكمًا، ولا تستبدِلْ به غيره فيختلف عليه، وتنزلْ بطاعته منزل مَنْ أطاع سادته وكبراءه فأضلُّوه السّبيل. نسأل الله الوهّاب الجواد أن يَهَبَ لنا ما وهب لِمَنْ قَبْلَنا من الصّادقين، ويجعلنا موافين لما وعد.

أمّا بعد؛ فإنّا كتبنا إليك ونحن بخيرٍ من الله، ونِعَمُهُ متظاهرة لا يحصى عددها، ولا نبلغ شكرها، إلّا ما نعيب على أنفسنا فيه، ونزري عليها به، والله المستعان.

وقد أتاني كتابك؛ تذكر الّذي وَلّاك الله من أهل عُمان ممّا ابتلاك به، وتخبرني أنّك حريص على الاقتصاد فيه. لَعَمْرِي لئن فعلتَ ذلك لا يسعد به أحدٌ غيرك، ولئن ضيّعتَ ذلك ما يحمل وزر ذلك غيرك. فإن استطعت أن تبلغ

بالّذي أنت فيه الشّرف عند الله وملائكته والمؤمنين، فإنّه ليس مِنْ عاملٍ يعمل على عمل فيقصد فيه، فيأخذ بالعدل؛ إلّا أعطاه الله من شرف الآخرة على قدر شرف عمله.

ولَعَمْري قد استُعملتَ على عمل شريف إن لم يُفسدك فيه الشّيطان، فإنّ فساد الشّيطان أن يتّخذ لك بغيًا على عشيرته وغيرهم. فنسأل الله أن يرزقنا أن نعرف له التّواضع فيما أعطانا، والاستكانة فيما عرف الصّادقين.

• وأمّا ما ذكرتَ من الرّجل تَدْفَعُ إليه الأرض يعمرها نخلاً بثلث أو نصف؛ فذلك ما يكره منه. ولكن استأجِرْ رجلاً بأجر معلوم فليَقُمْ على أرضك ونخلك.

• وأمّا ما ذكرتَ من أنّك تدفع على رجل بُرًّا وبقرًا، يعمل في أرضك، ويزرع فيها، وله الثّلث أو الرّبع؛ فذلك أيضًا ممّا يكره، إلا رجلاً تُعْلِمُ له أجرَه.

• وأمّا الّذي ذكرتَ من رجلٍ تُشركه في أرضك، يُنفق نحو ما تنفق، زعمتَ أنّه يكفيك طائفة من عمله، ويعينه غلامك أحيانًا ولا تتفضّل عليه؛ فلا بأس بذلك. وقد يشترك الشريكان فيكونان أحدهما أجزى من الآخر، فلا يضرّ ذلك، ولا تشترط عليه شيئًا في عمله.

• أمّا ما ذكرتَ من رجل يؤخذ في بيت المال فتتقبّل له، وتجعله عليه سلفًا؛ فذلك أكرهه لك، أن ينقد الرّجل فينقد عن نفسه، فأمّا قبالة يقضي لها زمانًا لا ينقدها فذلك رِبا.

اكتب إليّ بحاجتك، وبما كانت لك من حاجة.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

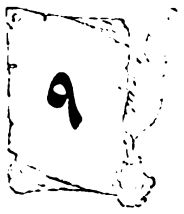

٩ الرّسالة التّاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عبد العزيز بن سعد

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إلــه إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، والموازرة في طاعته، والحيطة على دينه وأهله. فإنّ الله جعل لأهل دينه أهلا مواليًا لهم ومناصحًا، رؤوفًا بهــم رحيمًا، حافظًا لِمَــا ضيّعوا من أمرهم، وســاترًا لهم عورتهم، واصطفاهم على خلقه، واختارهم بعلمــه، وجعل لهم المخرج من أمرهم، واليسر ممّا عســر عليهم، والرّزق بتوكّلهم، وذلك بأنّهم كانوا متّقين لسخطه، راكبين لطاعته فيما وجدوا من الخفّة والثّقل.

فإن اســتطعتَ أن يصحبــك الله في الّذي أنــت فيه فافعل. فــإنّ صاحبه لا يســتوحش إلى غيره، ولا يخاف أمنه. وغاية الكينونة معك أن تعلمه منك التقى والإحسان، فـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وأَرْغَبُ إلى الله واسألُهُ في إلحافٍ وتضرُّعٍ ورغبةٍ ورهبةٍ، وأتوجَّهُ إليه في دعائي ومسألتي بوجهه الكريم، وأسمائه الحســنى، وبحقّ حملة عرشه ومَن حوله من الملائكة المقرّبيــن والأنبياء المصطفيــن؛ [أن] يصرف عنّا وعنك

مكاره الدّنيا والآخرة، وأن يعافينا وإيّاك فيما قدر لنا، وقضاه بنا، وأن يعصمنا وإياك بالإسلام، وأن يجعله ديننا الّذي نلقاه عليه.

أمّا بعدُ؛ فإنّا بخير وعافية مِن الله إنْ شكرناه واتّقيناه، وأهلُك ومَنْ يُشْفِقُ عليك كالّذي تحبّ، لم يحدث عليهم ـ والحمد لله ـ إلّا خيرًا.

وقد أتاني كتابُك تذكر فيه حســن دفاع الله عنك، زعمتَ أنّك وليت أمرًا لا تخاف فيه [....][1] فكم لله عندنا حسنة ونعمة لا نحصيها، وعادتُه إلينا في الأمور كما نحبّ من غير خيرٍ يعلمه منّا، فنحمد الله على ذلك كلّه.

• وأمّا ما ذكرتَ من رجل بعث على عمل فتنزّله دهاقين الأرض، فإن يكن ذلك من هيبة له فلا يصلح، وأحبّ ذلك إليّ ألّا يرزؤون مرزئة تضرّهم، فأمّا علف الدّابة إذا نزل بهم فإنّما ذلك بمنزلة سواء، [فدع الرّيبة][2] وخذ بالعارف.

واكتب إليّ بما حدث من أمرٍ قِبَلَكُم.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) في الأصل هكذا: بدع الرست.

١٠ الرّسالة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى مالك بن أسيد

سلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنّ التّقوى مقبول فيها العمل، ومغفور فيها الذّنوب، فإنّ المتّقين غرباء في أهل الأرض، يُعرفون حين ينظر إليهم، وحين يتدبّر أمرهم في العواقب، وعند عزائم الأمور. وعليك بتقوى الله فترى بها في مجالستك كلّها ومواطنك.

واعلم أنّك تؤتى من قبل الله، ولن يحيف عليك ولا لك، فإذا جاءك كتابي فكن قاضيًا على نفسك، واجتمعْ أنت وخصمك عند كتاب الله، ثمّ ليقصّ كلُّ واحد منكما قصّته على كتاب الله، فإنْ جمع أمركما فدوما على ذلك، وإنّ فرّق بينكما فليؤت أحدكما صاحبه. ولا تشـقيا. وليعتـرف أحدكما لصاحبه، فإنّ التّنازع والتّشاجر هلاك لأمركما.

واعلم أنّ خصمك في ذلك عملك، فإن قضى لقولك واصطلحا فليعرف من أمركما [.....][1] وإن نقص العمل القول كان ذلك غاية الفساد. والحَكَمُ بينكما

(١) كلمة غير واضحة.

كتاب الله، لا خِيَرَةَ فيه ولا منازعة بهوى. نسأل الله ونطلب إليه بغير دالّة ندلّ بها ولا قوّة ولا خير نمــنّ به من [.....][1] ولكن إنّما نطلــب إليه بالتّصديق له في مواعده الّتي لا خلف لها؛ أن يكتب في قلوبنا وقلوبكم الإيمان، كتابًا لا تُغَيِّرُه سرَّاءُ ولا ضرّاء، حتّى يدخلنا به جنّات النّعيم، إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

أمّا بعد؛ فإنّا نحمد إليك الله في حســن الثّناء عليه فــي طلب منّا وإلينا، ونخبرك أنّ الله محمود عندنا في الّذي عرفنا مــن نعمته وما لا نحصي منها، ونخبرك أنّ الله نِعْمَ الرّب المحسن هو إذا اعتذر إليه، والخيرات عنده.

أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتخبرني أنّ ذلك عام لمن يعجبكم شأنه من صديقكم وأهل قرابتكم. فحمدت الله على ذلك، وأعجبني ما ذكرت من الّذي صنع الله إليكم من ذلك. فنسأل الله تمام نعمته علينا وعليكم، فيما يرضى به من الشّكر، والسّلام عليك.

• أمّا الّذي ذكرتم من أنّكم تنكحون النسّــاء على مُهور تسمّون بها مالاً ونخلاً، وتزعمون أنّ لكلّ نخل ثمنًا معلومًا؛ فأمّا ما فرضتم دَرَاهِمَ علمتموها نخلًا على سنة أرضكم تراضيتم على ذلك فلا بأس بذلك، الشّرط أملك. وأمّا إذا سمّيتم دراهم ولم تتراضوا فيها بأمر معلوم؛ فإنّ للمرأة الخيار من ذلك إذا شــاءت دراهم وإن شــاءت نخلا. وليس لها أن تُجْبَر على غير ما تشتهي من ذلك. وإن تراضى الأولياء بأمرٍ دُونَها فليس لهم ذلك بعد النّكاح والفريضة، لأنّه لا أمر للأولياء بعد الفريضة، والأمرُ في ذلك للمرأة.

• وأمّا قولك إنّ الرّجل يقول: أتزوّج على ألف درهم، أو ما شــاء الله من الدّراهم، ثمّ يقول عند النّكاح: إن ذلك في ضاحــي وأرضي ونخلي لا يُعْلِمُ الثّمن؛ فإنّ للمرأة رضاها من ذلك، إلّا أن تقــول: أعطني بها مالا نحو الّذي

---

(١) بياض في الأصل.

يؤخذ من قومي في فريضة النّكاح. فما لم يُعلم من ذلك فلا تُكره المرأة على بيع. والّذي لها في ماله حتّى تستوفي دراهمها إلّا أن تشاء أن تتجاوز عمّا شاءت منه.

• وأمّا ما ذكرت من الصّرف تصرفون الدّراهم ثمّ لم يشترط لكم ما لم يجد لكم فردّوه ببدل لكم؛ فلا أحبّ ذلك. باينوهم عند ذلك، وافصلوا ما بينكم. فإن لم تبصروا الدّراهم فاستوروها [؟]. فما لم تنقد فيه أبصاركم ولا بصر من تستوروها [؟] له فلا يصلح ردّه، وإن كان غير طائل لا ينفق عنكم.

• وأمّا الّذي ذكرت من اشتراء الأحرار يبتاعون برخص فإن المشتري والبائع سواء؛ فذلك حرام على المؤمنين. فتنزّهْ عما أرابك. وانتقل منه [إن][1] أصابك. ودع الرّيبة لأهلها.

والسّلام عليك.

* * *

(١) في الأصل: إلى.

١١ الرّسالة الحادية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى سالم بن ذَكْوَان

السلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، والتّوكُّلِ عليه، والتّفويض إليه، وحُسْنِ الظّن به، فإنّ الله نازلٌ من النّاس على ظنّهم به، فالظّانُّونَ به ظنَّ السَّوْءِ عليهم دائرة السَّوْءِ. فاحذر أن يُرْدِيكَ ظنُّكَ بالله.

واعلم أنّ العباد من ذلك على أمورٍ شتّى ونيّاتٍ مختلفة، فإن استطعتَ ألا تُقِيمَ ساعةً من نهارٍ ولا ليلٍ على أمرٍ تَعْرِفُ أنّه لله سُخْطٌ فافعل، فإنَّ العاقل ليس كالجاهل، وقد ذكر الله قومًا عرفوا نعمة الله ثمّ أنكروها[1]، فأولئك قومٌ فاسقون. وإنّه لعمري ما أنتَ بمنزلةٍ تُعْذَرُ بشيءٍ تأتيه بجهلٍ فيه.

---

(١) الإشارة إلى الآية الكريمة: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

واعلم أنّ المخدوع مَنْ خادع الله، فإنّ الله لا ينخدع للنّاس، ولا يُخْدَع ولا يُخْلَب، وذلك لما لا يقدر قدر عظمتـــه، وإنّه ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فلا يكون الله بنفســك. ولا تحمله عيبا [؟]. ولا تطلب معاداتـــه، وافزع إليه بالّذي ينفعك. نسأل الله ـ القديم مَنُّه، السابغة نِعْمَتُه، العظيم فَضْلُه ـ أن يفضل علينا بالذي فضل بـــه على عبـــاده الصّالحين، وأن يغفر لنا ولك كلّ شـــيء أسخطناه فيه منذ عرفنا نعمته، وما قبل ذلك.

أمّا بعد؛ فإنّا ـ والحمد لله ـ بخير من الله. والـــرّزق متتابع. حبيبٌ إليّ أن اسأل عن سلامتك، ويعجبني رشدك وصلاحك في أمرك كلّه. وقد أتاني كتابك تذكر فيه عافية الله إيّاك. عافانا الله وإيّاك. ودفع عنّا وعنك الشرّ كلّه. فقد أعجبنا ذلك وفرحنا به، فنحمد الله على ذلك وعلى نعمه كلّها. ما شـــيء من ما أنت مُصِيبُهُ أعجب إليّ من عافيته إيّاك في دينك.

• وأمّا الّذي ذكرت من الّذي يتشاجر فيه ناسٌ ممّن قبلكم من امرأة أخبرت رجلاً عن امرأتين له أنّهما أرضعتهما جميعًا؛ فـــإن تكن ممن لا تُتَّهَمُ صُدِّقَتْ وفُرِّق بينهم، لأنّه جمع بيـــن الأختين. ذلك من أكبـــر التّحريم والحرام. ولا ينبغي أن يراجع واحدة منهما ما بقي. وله فيما سواهما مندوحة.

• وأمّا ما ذكرت من رجل وطئ جارية كان أبوه وطئها، لا علم له بذلك؛ فليبعها، فإنّه لا تحلّ له مجامعتها.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل باع جارية قد وطئها، وعنده أخت لها فوطئها، وكان بين ذلك ثلاثة أيّام؛ فإنّ أعجب ذلك إليّ أن لا يطأها، وقد جمع بينهما، ولا يصلح جمع الأختين وإن كانتا مماليك ممّا ملكت اليمين. والعدّة في نفس منها على الرّجل لا بأس به، فإنّي أزعم أنّ ذلك كنحو الحرّة إذا طلّقت، وإنّما آخذ في ذلك بالثّقة. واترك الرّيبة لأهلها. فإنْ أعجبه أن يعتزلها كقدر ما لو كان على الأوّل عدّة انقطعت أن يجامعها فليفعل.

واعلم أنّه لا يعجبني أن تترك لي عنــدك كتابًا إلّا محوتَه، ولا ترو عنّي[1] شيئًا ممّا أكتب به إليك.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

(١) رُسمت في الأصل: تر غني.

١٢ الرّسالة الثّانية عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى نعمان بن سلمة

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّــذي لا إله إلّا هو، المُمْهِلَ للعباد بعد السّــيئات، والمتينَ كيدُه، فكن منه على حذر. ولا تشهد له معصية، فإنّ الخَزِيَّ المُخْتَزِيَ المغرورَ المغترَّ المفضوحَ غدًا مَنْ أســخط الله أو ركب منها شيئًا في عمل أو مهل لم يثبت منه. والمفرطُ في أمر اللهِ الأحمقُ مَنْ جزع من فان مكروه. فإنّ الله أَخْذُهُ أخْــذٌ أليمٌ، وعذابُه عذابٌ شــديدٌ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥ ـ ٢٦].

أسأل الله ربّنا وربّك أن يتوب علينا ممّا أسخطناه فيه، وأن يحولنا عنه إلى ما يرحمنا به ويدخلنا به الجنان.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون من فضل الله علينا.

وقد أتاني كتابك تذكر فيه الّذي ابتلاك الله بــه إلّا أن يُدْرِكَكَ منه برحمة، وتجوزَ ممّا تخافه على دينك ودنياك، فقد عرفت أنّك منه على شرف وخطر. فإن استطعت أن تضرّ بالدّاني منهما؛ فإنّ الدّنيا ونعيمها أهون فقدا من نعيم الآخرة.

• وأمّا الّذي كتبت تسـألني عن خرص النّخل على أربابها، ومِنْ إكراهك أناسًا على قبالة أَرَضِينَ هُمْ بها سـكّان، فذلك لا يحلّ أكله. ولكنّك من ذلك كراكب الأسد، ولا إخال لك بدًّا من ذلك، فتنزّه ما استطعت ممّا تكره، فإنّ الله لا يعمي عليك شيئًا من ذلك.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

١٣ الرّسالة الثالثة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى نعمان بن سلمة

سلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنّ أهل التّقوى نزلوا من الله منزلة لم ينزلها أحدٌ من خلقه، حتّى ألطفهم في المودّة، وصافاهم في النّصيحة، واصطفاهم بالكرامة، فما ينتهي بهم المنزل حتّى أعطاهم الحبّ منهم، فبلغ حبّه لهم أن أبغض من أبغضهم، وعادى من عاداهم، وسخر ممّن سخر منهم، واستهزأ ممّن استهزأ بهم، وخادع من خادعهم، ومكر بمن مكر بهم. فما ينتهي بالنّصر للمؤمنين حتّى مثل بمن استخفّ بحقّهم.

واعلم أنّه يبلغ من كرامة المتّقين على الله أنْ أحبّ من أحبّهم، ووالى من والاهم، وأكرم من أكرمهم، حتّى صنع بهم في الأمور كلّها خيرته لهم، في بلاء ابتلاهم به، من فوت رزق، أو ضرر في قسم، أو كرب كربهم. وإنّما يصنع ذلك لخيرٍ يريده بهم. المؤمنون من الله بمنزلة لم يكن ليعظم في الدّنيا شيئًا ينقص به حظّهم عنده. فإن استطعت أن تستحقّ التّقوى بقولك وعملك فافعل.

واعلم أنّ العباد لم ينقصوا شيئًا هو أشدّ عليهم من أن ينقصوا دينهم. فلا يطول بك الأمد، فإنّ الله قد حذّر العباد مثالَ قوم طال عليهم الأمد. واعلم أنّ الأمد في العمل أنّ قومًا عملوا، فلما تطاول عليهم ذلك أدركتهم السّآمة فضيّعوا ما أخذوا به، وازدادوا فيه بغضًا، حتّى تبدّلوا اللّهو والرّاحة بالعمل، ففسقهم الله، ووسمهم بأسوأ السّيمة. فإن استطعت أن تعرّف الله الزّيادة منك في الإيمان فافعل. فإنّه ينسب المؤمنين في الزّيادة، ولا ينسبهم في النّقصان.

فإذا جاءك كتابي فاعرف منزلتك من الله بما تعرف من نفسك. فإنّ الإنسان على نفسه بصيرة. يبصر المؤمنين[1] ما يكره الله فيتداركون ذلك برضاه. فنسأل الله وندعوه ـ دعاء من هداه عمله، ومن أوبقته ذنوبه، وأحاطت به خطاياه ـ أن يستنفذنا من كلّ شيء نحن فيه، ولا يعيدنا في شيء يستفسدنا منه. ونسأله أن يرزق لنا عملا يجعله رضاه حتّى يثيبنا به الجنان.

أمّا بعد؛ فقد جاءني كتابك تشكو الّذي أنت فيه من الّذي ابتلاك به، ممّا تخاف أن يكون الله قد سلك به دينك ودنياك. وإنّ الغمّ منك أن تقوم بمنزلة فيها هلاك دنياك وآخرتك.

فإذا جاءك كتابي فبِعْ دنياك واشترِ بها دينك. فهلاك دنياك ليست بخطر لدينك. فوالله لو كنت بمنزلة ترجو دنياك إن ذهب دينك ما رضيت لك أن تهلك دينك، ولا عذر لك بذلك، بله أنّك تخاف على دينك ودنياك.

واعلم أنّ ثقة المؤمنين في دينهم الله، إذا اعتصموا بالله، وعرف منهم الثّقة والتّوكل عليه؛ نجاهم من مكاره الأمور. وحقّ على الله أن ينجي المؤمنين إذا هم اختاروه على ما سواه.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: يُبْصِر المؤمنون. أو تُقدّر: يُبَصّر [اللهُ] المؤمنين..

واعلم أنّه ليس من العباد خليقة يلتمس مرضاة النّاس في سخط الله إلّا سلّط عليهم من يطلب مرضاته في سخطه حتّى يضر به، ويسلّط عليه.

• كتبت إليّ أن أدلّك على المخرج من الّذي أنت فيه، وتأمرني أن أبيّن لك العدل في الّذي أنت فيه. ولعمري لو أخذت في ذلك بأمر أهل العدل لوسعك ذلك.

فإن كان في ذلك في حاجتك، فاجمع أهل أرضك ثمّ ادع كلّ إنسان منهم فاسأله ما يطيق. فإنّه ليس منهم إنسان إلّا كان سيحمل من ذلك أمرا يكون لك فيه كفاية. فإنّ الدّهاقين يأخذون أضعاف ما كانوا متحملين لك. لا يصل من ذلك إلى بيت المال إلّا القليل يمسكونه لأنفسهم، ويأخذون الشّرط دونهم، وأمور كثيرة تغشاهم. ولا يصل إلى بيت المال منه كثير. فانظر كلّ إنسان منهم تحمل لك أمرا فقل: ليس عليك دهقان دوني ولا شرطيّ، إن تشأ أن أكتب لك صكًّا بذلك وتدفع إليّ الّذي تحمّلت لي. وإن لم يكن عندك اليوم فتحمله في طلب ذلك. فإذا رفعت إليّ شيئا من ذلك كتبت لك به صكًّا. فإنّ الرّجل لعلّه يؤخذ منه ثلاثمئة، فلا يصل إلى بيت مالكم منه مئة درهم. تذهب دونكم. ومتى توضع عن صاحب الثّلاثمئة مئة، وتؤخذ منه مئتا درهم؛ يبقى له ما يعيش به، وتصيب حاجتك.

فهذا أمر إن أخذت به أهل أرضك تكون لهم فيه راحة. وأرجو أن تستخرج منهم أمرًا يكون أضعاف ما لو حرصت فيه على خراب أموالهم لم تعد ذلك.

• فأمّا أمر المسلمين إذا ضربوا الجزية فإنّه كان قسمة على الرّؤوس، درهمين وجزأين من كلّ رأس. ثمّ ينتقل الدّهاقين فيقسم ذلك على قدر أهل الأرض وطاقتهم. فيكون الرّجل ينوبه من ذلك مئتان والثّلاث، ودون ذلك وفوق ذلك، ولا يؤخذ من أهل السكنة شيء. وإن جبر على أحد منهم، فرفع ذلك إلى الإمام عدل عليه. فكان ذلك أمر المسلمين. فجاءت بعد ذلك أمراء

جعلوا يقبلون الأرضين قبالات يتقبّلها دهاقينها، ويتنادون في الزّيادات، حتّى ينتهي بهم الأمر إلى ما رأيت. فانظر أيّ أمرك أخذت به فعليك بتقوى الله، ولا يكونن من رأيك أن ترى أنّ الله جاعل هضمك للنّاس مخرجًا.

• وأمّا الّذي كتبت تسألني عنه من الأرطاب والحبوب والثّمار هل كان المسلمون يقسمون عليها خراجًا؟ فلا، لعمري ما كان على أموال أهل العهد بعد الفريضة شيء وإن كثروا.

• وأمّا الّذي ذكرت من أموال المسلمين في أرضك، كتبت تستأمرني في أن تستعين بصدقتها في الجزية؛ فإنّ ذلك ليس لك. إنّما كانت صدقة أموال المسلمين إلى من بعث الصّدقة، ولا تجعل جزية. والله مع ذلك لقد عرفت أنّ الشّيطان سيزّين لك من أمرك أمرًا أخاف أن يوبقك إلّا أن يعصمك الله.

فنسأل الله أن يعصمنا وإيّاك من الزّلل والفتن، وأن يعافينا وإياك من شرّ كلّ ذي شرّ، ونسأله أن يدفع عنّا وعنك من أراد بنا سوءًا من شياطين الإنس والجنّ، وندرأ بالله في نحورهم، ونسأله أن يأخذ بأسماعهم وأبصارهم وجوارحهم، ويكفيناهم بما شاء، حتّى يعرفنا عاقبته في شكر برضائه عنّا.

والسّلام عليك.

* * *

١٤ الرّسالة الرّابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى ظريف بن خليد

سلام عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّـذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، وحسـن الرّعاية لدينه، والتّعظيم لله، والوجل منه والمخافـة. فإنّ الله مخيفٌ مَنْ أمنه، ومؤمنٌ من خافه، ومُرْضٍ من عظمه، ومُعَظِّمٌ من أرضاه.

واعلم أنّك نازل من الله بمنزلته منك، وإنّ لك عنده ما له عندك، فثوابك على الله ثوابه عليك. فـإنّ عند المؤمنيـن ثوابًا من الله، وعنـد الله ثوابًا من المؤمنين. أسأل الله الذي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أن يرزقنا وإيّاك ما يحسن به الثّناء علينا والثّواب.

أمّا بعد؛ فإنّي سـالم صالح، عليَّ من الله نِعَمٌ متظاهرة سـابغة. نسأل الله العون على أداء حقّه وما يرضى به عنّا ويرضينا به.

أتاني كتابك تذكر فيه سلامتك، وتعّم ما بيني وبينك فيما قسم الله. فنحن بذلك عارفون ومنتصحون فيه وبه. فأنت ممّن أحبّ صوابه ورشده وتوفيقه؛ لما أعطاكم الله أهل البيت من الشّرف في الإسلام والرّضا في أهله والثّقة عندهم.

• وأمّا الّذي كتبتَ تسألني عنه أن تسلف من الشّعير والبرّ على أنّك من أرض فلان، فيؤتى به لا ترضاه، وإنّما لك ما شرطت، فإن أتى صاحبك بطعام أجود من غير أن تشترك على صاحبك فلا بأس بذلك.

• وأمّا الّذي ذكرت من بيعه قبل أن تقبضه؛ فإنّ ذلك لا يعجبني حتّى تكتاله أو تستوفيه.

• وأمّا الّذي ذكرت من وليدة كان أبوك وقع عليها فأسقطت به سقطا؛ فإنّ السّقط بمنزلة التام في ذلك. وما يعجبني أن تأكل ثمنها من غير أن أحرم ذلك، إلّا ما قد علمت من أمرها عند الأمير[1]. فأحبّ إن أنت بعتها أن تبيعها في أرض لا يُعلم بها، فإن أمر الأمراء ما قد علمت، ونحن لهم هائبون يلتمسون علينا العلل.

• ثمّ كتبت إليّ تسألني عن الّذي تراه بعد البول؛ فاغسل منه ذكرك، ثمّ تطهّر طهورك للصّلاة فصلّ، ولا غسل عليك فيه، فإنّ المذي غير المنيّ.

• وأمّا ما ذكرت من العزل من الخادم؛ فلا بأس به. ولا يقعن في نفسك منه شيء.

• وأمّا ما ذكرت من شأن العين؛ يسترقى منها ويتعوّذ.

• وأمّا ما ذكرت أنّه يهدي إليك أقوام يرجون نفعك ولا تستطيع لهم نفعًا، فلا تقبل منهم هديّة، فإنّهم إنّما يهدون لك لذلك. فمتى ما لم تفعل ذلك تصير خيانة. فإنّك إنّما ائتمنت على ما أنت عليه أمانة. فأمّا قوم يهدون لك معروفًا صنعته لم يضرّ أمانتَك شيءٌ؛ فلا بأس بذلك.

انظر ـ أَمْتَعَ اللهُ بك وغفر لنا ولك ـ ما كتبتُ إليك من كتابٍ فامْحُه. واكتب إليّ بما كان لك من حاجة، فإنّي أحبّ رضاك، راغب فيه.

والسّلام عليك ورحمة الله.

---

(١) في الأصل: الأمر.

١٥ الرّسالة الخامسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى مالك

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله الّذي يَعْصِمُ مَنْ أطاعه ممّن عصاه، ولا يعصم منه عاصيه. فاعتصمْ به فإنّه نعم المولى ونعم النّصير. ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. [.....] بقلبك [.....][1] على حذر.

وكن إنّما تعمل لله؛ فإنّك مهما تعمل لله من خير فلن يدفعه عنك، وما يُعْمَل لغيره فالله عنه غنيّ. فلا تقسمنّ شيئًا من عملك بين الله وبين غيره. فأخلص له الدّعوة والعمل، فإنّه من يلقى الله والله له حامد والنّاس له لائمون يقبل الله فيحمدونه إذا حمده الله. ومن يلقى اللهَ واللهُ له لائم والنّاس له حامدون يقبل النّاس فيلومونه إذا لامه الله[2]. وذلك أنّ مصيره إلى الله، والله معطٍ له ـ

---

(١) بياض في الموضعين.

(٢) في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ =

يوم القيامة عند قضائه بين النّاس ـ كلّ عبد بما كان يحتسب وينوي، وذلك العدل من القضاء. واذكر حسنتك عند الله وثوابه منها، فإنّه لها موضع صدق يوفرها ويزيد فيها من فضله.

وقد علمت كيف تظاهَرَتْ عليك نِعَمُ الله، وقد خُلِقْتَ لأمرٍ اتّخذ الله عليك فيه الحجّة، وبلغك من الله العذر والنّذر، وقد فهمت الّذي أُمِرْتَ به، وبَيَّنَ لك الّذي نُهِيتَ عنه، ليعلم الله كيف تعمل لِمَا خُلِقْتَ له، وكيف شكرك لما أنعم الله عليك.

وقد اقترب إنفاذ أجلك، وحضر أمر الآخرة، وعند ذلك تنظر شدّة ربّك وأخبارك كلّها. فانظر ماذا أعددت، وماذا قدّمت له، واستدرك عجزك وتفريطك قبل أن تظعن، فإنّ الآخر من العمل هو أملك لما قبله من الأوّل بما بعده من العدل. وإنّك خُلقت فردًا عريانًا وكذلك تُبْعَث. فخذ في جهازك وزادك، وخذ عدّتك للقاء، وأصلح لنفسك مرجعها، واطلب لها منافع الآخرة فإنّها مطلوبة لما ضيّعت وقدّمت، فليهمّك أمرها ممّا ليس كما سلف، وتعمّد جابدة [؟] أجلك فزيّنه وأصلحه ولا تغترّ. أسأل الله لنا ولك التّوفيق لما يرضى، والحفظ ممّا يسخط.

أمّا بعد، فإنّك كتبتَ لأكتب إليك أن تشتري لي ناقة من إبل عُمان، فإن رأيت ذلك فافعل، وقد كان يعجبني أن تأتيني ناقة نجيبة من نجائب عُمان، فاشتر لي نجيبة تعجبك حسنها ومشيها وحسن دلّها. فإنّي شيخ قد كبرتُ، وهي حاجتي لِسَفَرٍ، بعير حسن الخلق. فإن تيسّر بعثها فابعث بها

= الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ».

إليّ مع من شئت أنت، واكتب إليّ بثمنها الّذي تشتريها به فأرسل به إليك إن شاء الله.

• وكتبت إليّ في شأن المحارثة؛ أنّ الأرض والأداة والبقر والبذر كل ذلك عندك، فيأتيك ناس يطيبون إليك نفسًا بعملهم، ولا يشترطون عليك شرطًا ولا تشترط عليهم، إلّا الّذي يرجونه عندك من الثّقة والمعروف وحسن الخلق، فيحرثون لك، ويحافظون على سقي الحرث وحصاده وجمعه. فإذا فرغوا من الحرث أعطيتهم ما شئتَ أَقْلَلْتَ أو أَكْثَرْتَ، فرضوا بذلك وطابوا به نفسًا؛ فلا أرى عليك بأسا فافعل.

• وكتبت إليّ أنّ لك حرثًا متفرّقًا في قرى؛ فلا يضرّ ألّا تكَلَّفَ جَمْعَه، ولكن إذا فرغ أهل كلّ قرية من حرثك الّذي في قريتهم فافعل فيه الّذي عليك من حقّ الله الّذي فرض، ولا يضرّك ألّا تجمعه جميعًا إذا أعطيت الحقّ الّذي فيه.

• وكتبت إليّ في مسيرك في قرى الحرث، كيف صلاتك؟ فصلّ ركعتين حتّى ترجع إلى دارك الّتي فيها قرارك، كنت عاملاً أو غير عامل. وإذا سرت في رمضان وكنت ميسرًا لِصَوْمٍ فصُمْ، فإن كانت بك مشقّة وعسر فأفطر، حتّى ترجع إلى دارك الّتي فيها قرارك، فإنّ الله يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.

• وكتبت إليّ أنّك أردت الإذن في الحجّ فلم يؤذن لك، وقد كنت حججت قبل ذلك فجمعتَ عمرة وحجًّا؛ فقد قضيت الّذي عليك من العمرة والحجّ والوقوف، فلا أرى عليك هديًا في الحجّ الّذي استأذنتَ له، إلّا أن تتطوع بخير فإنّ الله شاكر عليم.

• وكتبت إليّ أنّكم تشترون الإبل بالغنم؛ فلا أرى بذلك بأسًا.

• وكتبت إليّ في رجل ضربتَه فقُضِيَ له أن مات، وكنتَ أرسلت إلى بنيه أن يفرضوا الدّية، فكرهوا وأحبّوا أن يتصدّقوا، فأعطيتهم قيمة أربعين شائلة؛ فإن كنت تعلم أنّهم تصدّقوا عليك بما بقي من الدّيــة طائعين غير مكرهين، وطابوا لك نفسًــا غير خائفين لعقوبتك ولا لضرك إيّاهم؛ فاقبل ما تركوا من الدّية، وإلّا فأَوْفِهِمْ ديَتَهم. فذر ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

١٦ الرّسالة السادسة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الملك بن المهلّب من جابر بن زيد

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنّ حسن الرّعاية والتّشبه بأخلاق المؤمنين، والاقتداء بهداهم، واتّباع أثرهم أفضلُ لأقدامهم، فإنّ الأوّل قد أبرا الآخر.

فأَعْلِمْ ـ أبا عثمان ـ اللهَ من نفسك التّحرّي لمسرّته، والاتّباع لرضوانه، والتّعظيم لدينه. فإنّ أفضل المؤمنين عند الله شرفًا ومنزلةً ووجهًا؛ أفضلهم تعظيمًا له ولكتابه ولدينه ولحرمته. ويؤتي اللهُ المؤمنين لكلّ ذي فضلٍ فضلَه. فابتغ بما آتاك الله من أمر الدّنيا من الفضل فيها على كثير من النّاس نصيبًا في الآخرة، ترجو به الفضل في الدّرجات والثّواب. فإنّ الشّرف في الدّنيا يبلغ الله به شرف أعمال الآخرة، وما ارتضى الله [.....][1] شرف سادات مسودون.

---

(١) بياض في الأصل.

ومن يَدَّعِ الشّرف في الدّنيا بغير شرف في الدّين، وقصدٍ في الدّين، وفضلٍ في عبادة الله، يُصَيِّرْه الله بذلك ذليلاً بمنزلــة اللوم والصّغار، ويكون ما يدعي عليه من ذلك عارًا. فكن من الله على حذر شديد. ولا تكن مستهانًا مستضعفًا عليك أمرك. فنسأل الله رب العرش الكريم العظيم أن يهب لنا ولكم من اليقين ما نتصغّر فيه كلّ شــيء من أمرنا، حتّــى لا يعرف منّا كبــرًا يمقتنا الله عليه، ونســتحقّ به عذابه. ونســأل الله الكبير المتعال أن يرزقنا له تواضعًا يَمْلأ به أجوافنا خشيةً له.

أمّا بعد؛ فإنّا سالمون صالحون، نكثر الحمد له، ونضمر حسن الثّناء عليه، فيما أبلانا وأنعم علينا فيكم وفي سائر الأمور. فكان الّذي امتن الله به من النّعم في عافيته إيّاكم ودفاعه لنا عنكم أمرًا لا نبلغ من شكره إلّا التّقصير. فأتمّ الله علينا وعليكم نعمته، وزادكــم وإيّانا مزيدًا من كرامته، وأقــرّ عيوننا ببقائكم وعافيتكم والدّفاع عنكم، حتّى يريكم وإيّانا في أمركم وأمرنا ما تقرّ به أعيننا ويكبت به عدوّنا.

أتاني كتابك في الّذي تسألني عنه من الّذي تزعم أنّ صدوركم لا تثلج إلى فتيا غيري، فلعمري ما أنا إلّا مُتَعَلِّمٌ متَّبِعٌ آثارًا قد وطئت قبلي، وما عندي من ذلك ثقة ولا دلالة إلّا رواية عسى أن نختلف فيها.

• فأمّا الّذي ذكرتَ من الطّلاق بعد الخلع، وتزعم أنّ ذلك نزل ببعض من تشــفقون عليه؛ فإنّ الفقهاء يقولون لا طلاق لمن خلع. وكذلك ينبغي أنّه إذا أُعْطِي المال فقبله فقد اختلع من أمرها، فليس له فيها أمر، وهي أَمْلَكُ بأمرها، فليس بعد قبول المال له فيها مراجعة، إلّا أن تَطِيبَ نُفْسُها. ولو كان طلاقٌ بعد ذلك لا يُمْضِي للمرأة أمرًا إلّا بذلك لكان له أن يرتجع فيها إن شــاء. ولكن انقطع أمره منها بعد قبــول المال. وإنّما طلاقــه بعد ذلك بمنزلــة مَنْ طَلَّقَ ما لا يملك.

• وأمّا الّذي ذكرت من العــدّة في طلاق البكر قبــل أن تطمث فيدركها الحيض في بعض فرض عدّتها الشّهر أو اثنين، أو عدّة المرأة [إن] كان أترابها قد يئسن من المحيض ثمّ حاضت بعد فرض عدّتها، وأخرى تطول بها حيضتها في عدّتها، وأخرى يطول بها قعود عن حيضتها وهي من أجل الحيض. كتبتَ أن أبيّن لك ما بلغني في ذلك وأراه. فإنّي أخبرك عن ابن عبّاس أنّه كان يقول: إنّما جعل الله الحيض عَلَمًا للحبل. فكان عدّة الحيض علمًا للحبل يُستبرأ به الحبل. وجعل عدّة الشّهور للائي ييسن من المحيض مخافة الشّبهات.

فأمّا ما كان يقول في الجارية يدركها الحيض في بعض عدّتها؛ فكان يقول: تستأنف عدّة الحيض أعجب إليّ، لأنّه قد تحمل الجارية ولم يُعْلم لها حيض، وقد تحمل المرأة وهي تحيض في حملها، ومــا صفا له من الأمر أحبّ إلى. وبلغنا عن ما يروي النّاس عن عليّ بــن أبي طالب أنّه كان يقول: حيض فيما مضى من الشّــهور. وذلك لو كان يســتبين للنّاس حبل أو غيره لا شبهة فيه. والثّقة أحب إليّ. وأمّا الّتي تطول بها حيضتها من عادة جرت عليها فالحيض كما قال الله. وإن كان من حــدث داء أو مرض قطع ذلك عنها؛ فإن اســتبراء الحبل لا شكّ فيه. فالله أولى بالعذر ولا بأس.

وأمّا ما ذكرت من المرأة تحيض بعد الإيــاس؛ فإنّ أهل الحيض يختلف أمرهنّ. ربما عرض للمرأة انقطاع الحيض من غير كبر إلّا ما يعرض من الدّاء. وربّما رأت المــرأة الدّم من غير محيــض. فإن عرف أنّها ممّــن لا ينبغي أن تحيض، وكان ذلــك من غير عادة تجــري عليها في مســتأنف الأمور؛ فعدّة الشــهور والإياس بتزويجها[1]، وإن كان حيضًــا ورأت ورأى النّاس أنّها ممن لا تيأس من المحيض فعدّة الحيض. فإنّ الله جعل لذلك مقادير.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ولا بأس بتزويجها.

• ذكرت في الذّي سألتني من أمر الحيض إن تزوّج على شيء من هذه الحالات، تسأل كيف يصنع فيما عرف أنّه خولف فيه الحقّ والسّنة؟ فإنّه ليس من امرأة نكحت في عدّة إلّا فرق بينهم. فإن أتى عليهم زمان لم يكره أن تعود مناكحة خولف فيه الحقّ والسّنة على شيء من الحالات، إلّا ما لم يجامع أهله فقد يكون لهم مراجعة الحقّ.

• وأمّا ما ذكرت من نحل الرّجل ولده أو أهل قرابته أو زوجته؛ لك من مالي يا فلان كذا وكذا. فما شيء بغير الولد من شيء، وإن لم يبيّن به فهو ضامن له. وما علم من شيء شيء [؟] من ولد فلان لفلان، وفلانة لفلان، من مال كذا وكذا؛ فإنّ ذلك يمضى له. وإن كان الولد في حجر والده، وما كان نحل لولد لو يبن له لم يعلم ما هو فهو في الميراث. والتّنزيه أن يعلم الولد ما أبان له والده من ماله فأعلمه إيّاه، وإن قال النّاس غير ذلك.

• وأمّا ما ذكرت [من أمر الزكاة][1] وفيم فرضت؟ فلا نعلمها فرضت إلاّ في الذّهب والفضّة والأنعام والحرث وفي الأنفس الصّاع.

• وأمّا ما ذكرت من الجوهر واللؤلؤ، فلا نعلم فيه زكاة وإن كثر ثمنه، إلا ما أريد به التجارة، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

• وأمّا ما ذكرت من الزّكاة في حليّ نسائكم، وتزعم أن غلبنكم نساؤكم على زكاة حليهنّ؛ فأجبروهنّ على ذلك خير لكم، وإنْ كَرِهْنَ من قبل التّضييع لذلك فليس عليكم إلّا الأمر بالمعروف.

• وأمّا قولك: كيف يمسك الرّجل امرأة لا تزكّي مالها؟ فإنّ ذلك إنّما يحرم من قبل الكفر بالزّكاة والتّكذيب. زعمتَ إنّما كتبت تسألني عن ذلك تقول سمعته عن فقهاء قِبَلَك، وأنّهم لم يضعوا الأمر موضعه، وأساؤوا الرّواية.

---

(١) ما بين معقوفتين ناقص من النسخة (أ).

اكتب إليّ بما كانت لك من حاجة في سـرّ وثقة، فإنّك قد علمت الّذي نحن فيه، وما نتخـوّف من الّذي يطلب العلل علينا، فـلا تعرض لذلك لأمرٍ تهلكنا به، أصلحك الله.

نسـأل الله القريب المجيب أن يريكم وإيّانا في أموركم وأمورنا ما تقرّ به أعيننا، ومن نرجو أن يكون الله قسم به الدّفاع عنّا.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

١٧ الرّسالة السابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى عبد الملك بن المهلّب

سلامٌ عليك.

فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلا هو. وأوصيك بتقوى الله، فإنّه مَنْ يتّق الله يَجْعَلْ له نورًا يمشي به في النّاس، و﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥]. فلا تَجْعَلَنْ ـ والقوّةُ من الله ـ أحدًا من النّاس أحقّ بإعطاء الله ذلك من نفسه منك، فإنّ الله لم يبتغ ذلك أن يرى أحدًا من النّاس باتّباع رضائه واجتناب ما أسخطه منك، في الّذي صنع الله إليك خاصّة، وإليكم أهلَ البيت عامّة[1].

فإنّ من الحقّ عليكم أن تنظروا في الأمر الّذي تستحقّ به من الله المزيد عليه، فتأخذون من ذلك بما أنتم حراص على طلبه. فإنّه ليس من عباد الله أحد نقصت حاجته من مزيد الله له في عاجل الأمر ولا آجله، وذلك يدرك من الله

---

(١) في تاريخ الطبري قولُ يزيد بن المهلب في حضرة الوليد بن عبد الملك: «يا أميرَ المؤمنين، إنّ بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن يَنْسَ ذلك فلسنا ناسِيه، ومَنْ يَكْفُرْ فلسنا كافريه، وقد كان من بلائنا أهلَ البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إنّ المنة علينا فيها عظيمة». انظر طبعة سنة ١٣٩٠هـ. ج ٦، ص ٤٥٣.

بأن تعرف له نعمه فتشـكر له على قدرها، ومن يعرض عن ذلك يكن التّغيير ممّا هو فيه من قبل نفسـه، والله لا يؤتى من قبلـه، ولا يميل على خلقه، ولا يظلمهم شيئًا من ذلك هو حقّ عليه لهم فيما يستحقّون به عذابه.

فليكن أمرك وما يعنيك تفقد نفسك في الّذي أنت به معنى في الّذي خلقت ونفسك تراد به وعليه. فإنّ الله شـاغل العباد يوم القيامة بعضهم عن بعض بما أبدى لهم من عظمته، وأراهم من عفوه. حتّى عرفت الملائكة ومن سواهم من العباد أن قد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسـبون. وما أقبل على كلّ نفس منهم ما اشتغل به عن ما سواه، حتّى ما أحدٌ إلّا وهو يُجَاحِشُ عن نفسه، فرضي كلّ خليقة نجاة نفسه، والهالك من قضي عليه، ولم يكن له فَلْجٌ في خصومته.

نسـأل الله ونرغب إليه في الّذي نسـأله وندعوه فيه خوفًا وطمعًا، ورغبًا ورهبًا؛ أن يرزقنا وإيّاكم في الأمور كلّها ما تَفْلُجُ به حُجَّتُنا على كلّ خصم هو لنا، حتّى يصيرنا بذلك في الموقف بين يديه أهلَ برهان وسلطان.

• كتبت إليّ تسألني عن عقد النّكاح في النّساء، فإنّ ابن عبّاس كان يقول: ما أوصي بعقدهنّ في النّكاح إذا لم يكن وليًّا. فأمّا للأولياء فلا يجوز بغيرهم. وما جومع على ذلك كانت فرقة. ولا جماع بعدها على شيء من الحال، وما لم يمس، ذلك إلى الأولياء وحلّه وما كان من عقدة لا وليّ له فعرض القضاة يملكه ذلك. أمّا ما جهل من ذلك فلا نزعم أنّه حرام بعد النّكاح المعلن، وقد يسرّني أن يرجع فيه إلى عقدة الرّجال من غير فرقة.

وقد زعم ابن عبّاس أنّه يسع مثل ذلك بشهادة رجل وامرأتين في مراجعةٍ ونكاحٍ مع الوليّ. وقد تكون الأمور على سبل متشابهة، منها ما لا رخصة فيها، والأخرى فيها الرّخص. وأهل العلم يشـتهون من ذلـك ما صفا، ويكرهون لبسها. غير أنّه قد تكون أمور تتعالى فيما يكره، ولا تبلغ أن تكون حرامًا، ولا يشتم أهله عليها.

• وأمّا ما ذكرت من المرأة لم تمسّ تطلّق عند حضور الموت من زوجها؛ فلا، ولا نعمت عين له، حتّى تذهب منزلــة الضّرر وهو حيّ في مثل عدّة من دخل بها، إلّا أن تزوّج المرأة، فقد زعم ابن عبّاس أنّ ذلك يذهب صداقها كلّه، وميراثها. زعم أنّ عليها التّربّص على مالها حتّى يذهب الضّرر. ولولا قول ابن عبّاس في ذلك لســرّني ـ وإن تزوّجت، إذا عرف الضّرر ـ أن تستوجب الأمر كلّه ما لم يذهب ميراثها.

ورأيُ من قبلنا أفضل من رأينا الّذي نرى، لم يــزل الآخر يعرف للأوّل. وكانوا أحقّ بذلك؛ المهاجرين مع رسول الله ﷺ، والتّابعين لهم بإحسان، فقد شــهدوا وعلموا. فالحقّ علينا وطء أقدامهم واتّباع أثرهم. واعلم أنّه لم يهلك قوم قطّ حتّى نازع الآخرُ الأوّلَ في العلم إذا تمسّك أهل العلم بعلمهم.

• وأمّا ما ذكرت من رجل قــال لامرأته: مــا أراك إلا حرامًا عليّ؛ فذلك يُجعل على نيّته.

• وأمّا ما ذكرت من رجل قال لامرأته: قد خفتُ أن تكوني زانية؛ فلا يبلغ ذلك، وهذا من سوء الظنّ.

• وأمّا ما ذكرت من امرأة أرادت الخلعــة من زوجها فكره عليها، فقالت: بِعْنِي تطليقةً بألف درهم. ففعل لها. زعمتَ أنّه لا يريد بذلك خلعة؛ فقد أرى المرأة خدعت زوجها، وصار ما أخذ منها من قليــل خلعة، وبطل طلاقه بعد ذلك، وهي أملك بنفسها.

• وأمّا ما ذكرت أنّ لصوصًا لقوا قومًا فســلبوهم، ثمّ أعطوهم طائفة من الّذي ســلبوهم إيّاه، فقال اللّصوص: هذا لكم جميعا نعطيكم[1] من أموالكم، فقال الرّجل منهم عند ملمّتهم: قد علمتم أنّ هذا المال مالي ومتاعي. فقالوا له:

(١) في (أ): نعطوكم.

قد نعلم أنّه مالك ومتاعك، ولكن أعطيناه جميعًا بيننا من الّذي لنا. فالمال من الرّجل رزق أن يردّ عليه ماله. ليس لقوم أن يأخذوا من مال آخر، وإن أعطوه، إن كان على هذا النّحو، إلّا أن يكون القوم فيما بينهم بمنزلة أهل اللّحر[1] فقد أخبرتك، وقد بلغني أنّهم يتقولون في سعيهم على ذلك.

• وأمّا الّذي ذكرت هل يجيء حال من الميراث يكون فيه لأهل النّعمة نصيب؟ أمّا ابن عمر فقد بلغني أنّه أوتي بميراث مولاه فأعتق عنه به وتصدّق. وأمّا ابن عبّاس فكان يقول: لا أرى أهل النّعمة ـ إذا لم يكن غيرهم وجعل لهم ولاية ـ إلّا أحقّ به. كأنّه يجعل الولاية شبه الطّعمة لهم ميراثه. وأمّا إن عرف أهل الرّحم فالميراث لهم، وإن لم يكونوا ممّن ينالهم شيء من الميراث في القسمة، وقد يقول النّاس فيه ما قد علمت.

• وأمّا الّذي ذكرت من المكاتبة لها المال، كاتبت على أمر ثمّ اطّلع مواليها على مالها، فقالوا: كتمتنا مالها؛ فإن كانت سئلت عن مالها فأخبرتهم ألا مال لها، فالمال مالهم. وإن كانوا كاتبوها ولم يفتّشوا عن شيء فعسى أن يقضى لها مالها، إلّا أنّ عبّاس كان يقول: إن كان له ولد كتبهم في الرّق. ويزعم مع ذلك عكرمة ـ فتى ابن عباس ـ ما كان من رقيق لم نعلمهم في الرق، ويقول: إنّما كاتب على نفس واحدة، وما أرى إن جاز له ماله أن يجعل الرّقيق بمنزلة المال، وإنّ أحب مكاتبة النّاس أن يقول رجل: لي من الولد كذا وكذا، ولي مال، وأنا بخير، فلا يكون عليه فيه تباعة.

• وأمّا الّذي ذكرت من مكاتب كاتب فكتب له الكتاب، فلم يعط شيئًا من أجل صحيفة كتبها، إلا أن يعلم منه خير ونصح وجهد؛ فليس لهم أن يردّوه وهو غريم من الغرماء، لهم أن يستحثّوه بالّذي لهم قبله، ويشتدّون عليه. غير

---

(١) كذا في الأصل.

أنّ عكرمة يقول: إذا أدّى من مكاتبته شـيئًا فهو غريم من الغرماء، وإن لم يؤدّ أخذ بالشّرط الّذي عليه. وزعم أنّ أهل المدينة لم يزالوا يفعلون ذلك.

• وأمّا الّذي ذكرت من مال المضاربة يعطاه الرّجل، هل للرّجل صاحب المال أن يشـترط عليه؟ فإنّ ابن عبّـاس ينهى عن ذلـك، إلّا أن يقول له: لا تبرح بمالي ولا تخاطر به بحرًا. فأمّا أن يقول: اشترِ كذا وكذا، ولا تشتر كذا وكذا؛ فلا.

• وأمّا الّذي ذكرت من شركة الدّهاقين في أرضهم؛ فلا يحلّ لمسلم شركة مشرك من أهل الكتاب ولا غيرهم، لما يستحلّون من الّذي يحرم عليهم.

والسّلام عليك ورحمة الله.

* * *

١٨ الرّسالة الثامنة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

من جابر بن زيد إلى خيرة بنت ضمرة.

أمّا بعد؛ أوصيكِ بتقــوى الله الّذي امتنّ عليك بتمــام النّعمة وكثرتها وفضلها، فإنّ الله قد قسم لك من ذلك ما لا تبلغين له جزاء، ولا بَدَا لك من أين تســألين عن ذلك. فانظري الّــذي يوافق الله من الشّــكر له في نعمه، وإعطاء الله ما تســتحقّين به الثّواب الّذي أثاب به الشّاكرين. فإنّ الله أثاب الشّــاكرين نوالًا، كأنّ الّذي أعطاهم مــن النّعيم في الدّنيــا والتّعمير فيها صغير، غير أنّ نعيم الدّنيا كلّها في نعيم الآخرة، وتعمير كالجنّة في جوف الأرض [؟].

فليكن حرصك وطلبك وجهدك وجدّك واجتهادك وحديثك وهمّك في الّذي في الحــقّ أن يعنيك أمره، فــإنّ الله في جنّته أخبــرك بالّذي تنالين ما عنده من الكرامة، وما تسكنين به داره وتجاوره به أولياؤه عليه، وأخبرك بالّذي يعذّب به من عذب من أعدائه. فكلا الأمرين قد اتّخذ الله به عليك الحجّة في الّذي أقــررت بمعرفة ذلك، فليعلم الله منــك الصدّق والجدّ، لا قوّة إلّا بالله.

نسأل الله ربّنا وربّك إلهنا وإلهك أن يصلحنا وإيّاك لما أصلح به من قبلنا من المؤمنين، وأن يهب لنا ولك في الّذي أنعم علينا ما يرضى به عنّا ويجعلنا به شاكرين.

• وأمّا الّذي ذكرت من الماء يحتقن في رحم المرأة اليوم وعامّته ثمّ تصبه بعد الغسل؛ فلا بأس، وليس عليها غسل منه إلّا أن تنضح المرأة بالماء وتغسل ما أصابها منه.

• وأمّا الّذي ذكرت من المرأة تمسّ ثوبها ولم تغسل يدها من خرقتها؛ فما استطاعت المرأة أن توقي ثيابها فلتفعل مع أنّ الأيد لا بدّ، فعسى أن تعذر في كثير من تلك الأمور.

• وأمّا الّذي ذكرتِ عن الوليدة يأتيها مولاها فلا يُنزل فيها، تسألني عن الغسل؛ فلتغتسل فإنّ الغسل واجب.

• والّذي ذكرت من النّضح للثّياب؛ فلا، إلّا أن يصيب الثّوب ما يغسل فليغسل ما أصاب من الثّياب، فإن لم تقدر على ما أصاب من الثّوب تنضحه إن شاءت.

• وأمّا الّذي ذكرت من الرّجل يجامع وليدته في بيت فلا يحلّ والأخرى تنظر إليه فهذا أقبح ما يرى النّاس.

• وأمّا الّذي ذكرت من رجل حلف لا يجامع وليدته فمضى لذلك سنة أو نحو ذلك لم يجامع شيئًا من ولائده ثمّ بدا له أن يجامع؛ فليكفّر وليجامع فإنّه يعجبني ذلك، ولا تجعل الوليدة في اليمين بمنزلة الحرّة إلّا في المظاهرة، فقد زعم أنّها بمنزلة الحرّة.

• وأمّا ما ذكرت من رجل حلف لا يجامع امرأته شهرًا ثمّ مضى الشّهر؛ فليطعم وليجامع. فأيّ ذلك شاء استحبّ. وأمّا إن حلف شهرًا ثمّ مضى لذلك

أشهر فإنّ ناسًا يزعمون أنّ اليمين انقطعت يوم الشّهر، وأمّا أنا فيعجبني أن يعلم الرّجل امرأته ذلك فيقول: قد مضى الشـــهر وأنا مول منـــك، ويجامع، إلا أن يكون لا يستطيع ذلك، فإن مضى ولم يراجع في يمينه يخيّر، فإنّه يعجبني أن يجعل عليه يمين مغلّظة. فإن لم يبيّن غير أنّ عكرمة يزعم أنّ شهرًا وغير ذلك بمنزلة واحدة.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

فهرس المحتويات

كلمة بقلم المراجع ٥
بين يدي الرسائل جابر بن زيد الأزدي مُؤَسِّسُ المدْرَسَةِ الإِبَاضِيَّةَ ٢٩
رسائل الإمام جابر بن زيد الأزدي ٥٧
١ ـ الرّسالة الأولى ٥٩
٢ ـ الرّسالة الثّانية ٦٣
٣ ـ الرّسالة الثّالثة ٦٧
٤ ـ الرّسالة الرّابعة ٧٣
٥ ـ الرّسالة الخامسة ٧٧
٦ ـ الرّسالة السادسة ٨١
٧ ـ الرّسالة السابعة ٨٧
٨ ـ الرّسالة الثامنة ٩٠
٩ ـ الرّسالة التّاسعة ٩٢

١٠ ـ الرّسالة العاشرة ٩٤
١١ ـ الرّسالة الحادية عشرة ٩٧
١٢ ـ الرّسالة الثّانية عشرة ١٠٠
١٣ ـ الرّسالة الثالثة عشرة ١٠٢
١٤ ـ الرّسالة الرّابعة عشرة ١٠٦
١٥ ـ الرّسالة الخامسة عشرة ١٠٨
١٦ ـ الرّسالة السادسة عشرة ١١٢
١٧ ـ الرّسالة السابعة عشرة ١١٧
١٨ ـ الرّسالة الثامنة عشرة ١٢٢

* * *